

دَحْوَةُ الْحَقِّ

اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ وَالْإِسْلَامُ

مَعَا فِي مَعْرَكَةِ الْمَوَاجِهَةِ

تَأَلِيفُ
لَهُ كُنُوزُ السَّيِّدِ رَزْوِي الطُّوَلِ

وَحَوَّةُ الْحَقِّ

اللِّسَانُ الْعَرَبِيُّ وَالْأَمَلُ

مَعَا فِي مَعْرَكَةِ الْمَوَاجِهَةِ

تَأْلِيفُ
أَبِي كُنُوزٍ السَّيِّدِ رَزْوِي الطُّوَلِي

السنة السادسة - العدد ٦٠
ربيع الأول ١٤٠٧ هـ - نوفمبر ١٩٨٦ م



بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى :

﴿نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من
المنذرين . بلسان عربى مبين﴾

[سورة الشعراء الآيات ١٩٣ - ١٩٥]

ذكرى

قال أبو منصور الثعالبي النيسابورى :

«من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ﷺ ، ومن أحب
الرسول العربى ، أحب العرب ، ومن أحب العرب ، أحب
العربية ، التى نزل بها أفضل الكتب على أفضل العرب والعجم ،
ومن أحب العربية عُنى بها ، وثابر عليها ، وصرف همته إليها» ..

من مقدمة كتاب

فقه اللغة ، وسر العربية

المقدمة

نحمد الله ونستعينه ، ونستهديه ، ونسأله أن يبصرنا بمواقع الصواب ، وأن يباعد بيننا وبين شهوات النفس ، وضلالات العقول ، ونصلي ونسلم على نبيه ومصطفاه محمد بن عبد الله ، اختاره الله للرسالة الخاتمة ، واصطفى لسان أمته لساناً للكتاب المبين ، المهيمن على كل كتاب ، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه ، ونستفتح بالذي هو خير : ﴿ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير﴾^(١)

وبعد :

فقضايا المصير الإسلامى كثيرة ومتعددة ، وملحة من أجل إعادة هذه الأمة إلى دينها القويم حيث تستعيد فى رحابه عزتها وكرامتها وأمجادها ؛ غير أنه من بين هذه القضايا تبرز قضية ذات بال ، تلك هى قضية اللسان العربى الفصيح ، وما أصابه من ضعف واستعجام إنها من أخطر القضايا فى تاريخنا الفكرى ؛ على الصعيد الإسلامى ، لا على الصعيد العربى فحسب ، إنها ذات صلة وثيقة بوحدة أمتنا ، وذات صلة أوثق بدينها القويم والدفاع عنها فى تقديرى دفاع عن الإسلام ، وكيانه ووجوده ، وأمامى

(١) سورة المتحنة الآية ٤ .

شواهد صادقة من واقع الكفاح الإسلامى تدعم ما أقول ، إنها كانت الهدف الأول لكل محاولة استعمارية لضرب هذه الأمة ضربة مؤثرة حتى تحول الأمر إلى صراع شرس ، عاشه القرن الهجرى الماضى حتى الثلث الأخير منه تقريباً ، وتاريخ الاستعمار فى مصر ، والمغرب العربى وبلاد الشام ، وغيرها يسجل هذه المحاولات الضاربة لقطع لسان هذه الأمة أو تعجيمه ، ومطاردته لهذا اللسان خارج الأرض العربية - حيث يوجد المسلمون الذين يعترضون بهذا اللسان نطقاً ورسماً ، أو نطقاً فقط - كانت باغية وظالمة ، وكان الاستعمار فيما اتجه إليه يصدر عن خطة محكمة ، وفهم واع لتاريخ هذه الأمة ، وخطورة لسانها .

لقد تعدد الناطقون بهذا اللسان وتكاثروا خارج الحدود العربية ، وانتشر الحرف العربى فى نحو ثلاثة أرباع سكان العالم ، واللسان العربى أقدم لسان على البسيطة^(١) واستطاع أن يستبقى وجوده حتى العصر الحاضر ، ولا يزال حيث ماتت وتلاشت ، أو ذبلت وانكششت الألسنة التى عاشت معه منذ هذه الأحقاب البعيدة سواء فى دوحة اللغات السامية أم فى غيرها . ويملك هذا اللسان أضخم تراث وأكرمه ، ولا قِيلَ للسانٍ غيره بمثله ، وأنه لسان القرآن وهذا سر حيويته ، وللصلبية العادية مواقف وأئىً مواقف مع القرآن الكريم !!! وأيسر طريق عندهم للنيل منه تتمثل فى ضرب لسانه .

هذه هى القضية التى أردت معالجتها فى هذا الكتاب .

(١) هذا اجتهد من المؤلف . ا . هـ مصححه .

أحاول فيه إبراز ما يملكه هذا اللسان من قيم وإمكانات .
ثم رصد ما وجه إليه من حروب سافرة أو خفية ، ومحاولة
نتلمس فيها طريق العودة الحميدة بإذن الله ، وأمامى خطوط
مستقيمة ومعالم واضحة ، أشير إليها بإيجاز
أولها : أبعاد العلاقة بين اللسان العربى والإسلام وسنعالجها من
عدة نقاط .

- تأهل اللسان العربى قبل البعثة لهذه المهمة الكبيرة .
- العربية لسان القرآن الكريم .
- مزايا اللسان العربى وخصائصه .
- انتشار اللسان العربى مع انتشار الإسلام .
- هل اللغة العربية لغة دينية ؟
- اهتمام الأسلاف باللسان العربى سليماً ، قوياً ، ومدى هذا
الاهتمام ، ومغزاه .

ثانيها : إدراك غير العرب لقيمة اللسان العربى ، وشهادتهم له .

ثالثها : إتجاه الاستعمار الحديث لضرب اللسان العربى .

وتحت هذا عدة نقاط :

- البواعث والأسباب .
- دور المستشرقين .
- دور الأذئاب .
- دور المقلدين .
- التهجم على قواعد النحو ، وتغريب الأدب .

رابعها : طريق العودة .

أرجو من الله تعالى توفيقه وتسديده في عرض هذه القضية على طريق التبصرة لأمتنا التي تداعت عليها الأمم ، وتناوشتها المحن ، ملتزماً بهذا المنهج الذي أسلفته فإن أصبت فالحمد لله وحده ، وإن كانت الأخرى فجبل من لا يخطيء ، وحسبي سلامة القصد ، وحسن النية ، وأنى بذلت الجهد وما ألوت ، وقدمت ما في وسعي وما قصرت وأبلغت نفسى العذر ، ومُبلِّغُ نفسٍ عذرهما مثل منجح .
﴿وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾^(١) .

﴿ربنا لا تفرغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب﴾^(٢)

من جوار الحرم الشريف بمكة المكرمة

ربيع الأول عام ١٤٠٥ هـ

دكتور السيد رزق الطويل

(١) سورة هود الآية ٨٨ .

(٢) سورة آل عمران الآية ٨ .

الفصل الأول

أبعاد العلاقة

بين اللسان العرى والإسلام

﴿وكذلك أنزلناه قرآنًا عربيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ
الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾

[سورة طه الآية ١١٣]

تأهل اللسان العربى قبل البعثة لأن يكون وعاء للكتاب العزيز

أعبر هنا بكلمة «اللسان» دون كلمة «اللغة» ؛ لأن هذا هو المصطلح الذى اصطفاه الكتاب العزيز ، وهو التعبير الأمثل والأدق بلا رب ؛ إذ يقول تعالى : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾^(١) كما قال ﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾^(٢) وسار القرآن الكريم على هذا النهج لا يعدوه .

أما لفظ «اللغة» فيطلق على لغات القبائل كأن يقال : لغة قريش ، أو لغة تميم ، أو لغة أسد ، ونحو هذا ، ولفظ لهجة استحدثت فى القرون الأولى بعد الهجرة تعبيراً عن لغات القبائل ، ولم يكن لها وجود بهذا المعنى المعاصر قبل القرن الثالث الهجرى ، وقد ظهر اللسان العربى قبل الإسلام فى صورة لغات شتى للقبائل العربية التى كانت تضمها شبه الجزيرة العربية ، لكل لغة ألفاظها التى تختلف فى بعضها عن لغات القبائل الأخرى ، ولها طرائقها فى التعبير ، ولها عيوبها الصوتية أيضاً ، وتختلف بعض القبائل عن

(١) سورة إبراهيم الآية ٤ .

(٢) سورة الروم الآية ٢٢ .

بعض في مدى إمكانات الفصاحة في لسانها ، وكانت لغة قرش أفصح لغات القبائل جميعاً ، وهذا أمر قدره رب العالمين ، وهياً له أسبابه .

لقد استجاب الله لدعوة إبراهيم عليه السلام التي ضرع بها إليه ، وهويبنى أكرم بنية ، وأعظمها ، وأقدسها ، في قلب الوادى غير ذى الزرع ، فكانت الكعبة البيت الحرام محوراً التقت حوله هذه الأمة التي تأهلت على امتداد فترات التاريخ القديم ، لتقود العالم بالدين الحق ، واللسان المبين . يقول تبارك وتعالى : ﴿رَبَّنَا ، واجعلنا مسلمين لك ، ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ ^(١) وسار القدر الإلهي في طريقه المرسوم ، تتوالى الاسباب لتحقيق الدعوة الكريمة ، ولإعداد هذه الأمة ولسانها لرسالة خالدة ، ومهمة - على طريق قيادة البشر - عظيمة وكريمة .

لقد أمر الله نبيه إبراهيم أن يؤذن في الناس بالحج فكانت الكعبة ملتقى لقبائل العرب من أنحاء الجزيرة كل موسم وقامت بجانبها الأسواق :

عكاظ من أول ذى القعدة إلى اليوم العشرين منه ومجنة في الأيام العشرة الباقية منه .

(١) سورة البقرة الآيات ١٢٨ - ١٢٩ .

وذو المجاز وتقام في الأيام العشرة الأولى من ذي الحجة وترد إليها وفود القبائل في موسم الحج لأداء شعيرة موروثه عن أيهم إبراهيم ، وتلبية لحاجات اقتصادية ، وحاجات لسانية لا تقل شأنًا عن حاجات الاقتصاد ، بل إن موروثات عكاظ وزميلتها من الشعر والأدب أعظم وأكبر ، والمعلقات السبع ، وغيرها من فوائد الشعر خير دليل على نتاج هذه الأسواق التي كانت في حقيقتها أعظم منتدى للنقد الأدبي في هذا العهد الباكر ، وأصبح لقريش بحكم مكانتها ، وهي القائمة على الكعبة ، والمهيمنة على أمر الموسم سلطان على هؤلاء الوفود جميعاً ، فأصبح أمرهم نافذاً ، وكلمتهم مطاعة ، وقافلتهم مهابة ، ولغتهم قدوة يتبعها في صوتياتها ، ومفرداتها ، وطرائق تعبيرها كل أبناء القبائل ، وكان الشاعر الذي يريد أن يشرف بإلقاء قصيدة في عكاظ يتحرى لغة قريش ؛ ليكون لقصيدته السيورة والذبيوع والانتشار ؛ وسادت لغة قريش لغات اللسان العربي جميعاً ، وبلغت مدى كبيراً من الاستواء والنضج ، والقدرة على التعبير عن دقائق الأشياء : مُحسَّاتِها ومعقولانها . ثم كانت البعثة التي أشرقت شمسها على ربوع الجزيرة ، فأرشدت العقول ، وهدت القلوب ، واستثمرت عناصر الخير ، وأصول الفضل في هذه الأمة ، كما تستنبت البذور الصالحة في الأرض الطيبة ، وكان من ذلك لسان هذه الأمة الذي ظهر فضله ، وتميَّزه حين وعى ما في القرآن الكريم من حكم وأحكام ، وتشريعات ونظم ، ومواعظ ونصائح ، وقصص وأخبار فأبرز من قيم هذا اللسان ما كان محل عجب أهله أنفسهم .

العربية لسان القرآن الكريم

لقد أكدت آيات الكتاب العزيز في مواطن عدة عروبة لسانه ، وفي هذا التأكيد إشارات ذات بال ، يقول تبارك وتعالى : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(١)

ومعنى هذا أن عروبة القرآن سبيل لتعقله ، وتيسر فهمه لمن نزل إليهم حتى ينشروا في العالمين رسالته ويقول سبحانه : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حِكْمًا عَرَبِيًّا ، وَلِتُنَافِثَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾^(٢)

وفي هذه الآية شهادة لهذا اللسان العربى بحكمة القول ، ودقة الأداء وسداد اللفظ والعبارة ، والقدرة على استيعاب دقائق المعانى ، وروائع الحكم ، ويقول تعالى : ﴿فَإِنَّمَا يَسِرُنَا بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ ، وَنُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا﴾^(٣) كما يقول جل شأنه : ﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، أَوْ يَحْذَرُونَ لَهُمْ ذِكْرًا﴾^(٤) وقوله تعالى ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾^(٥) كما يقول عز من قائل : ﴿كَتَابَ فَصَّلْتَ آيَاتِهِ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾^(٦) ويقول :

(١) سورة يوسف الآية ٢ . (٢) سورة الرعد الآية ٣٧ .

(٣) سورة مريم الآية ٩٧ . (٤) سورة طه الآية ١١٣ .

(٥) سورة الشعراء الآيات ١٩٣ - ١٩٥ . (٦) سورة فصلت الآية ٢ .

﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمى وعربى قل : هو للذين آمنوا هدى وشفاء﴾^(١) ثم يقول سبحانه : ﴿ومن قبله كتاب موسى إماماً ، ورحمة، وهذا كتاب مصدق لسانا عربياً لينذر الذين ظلموا ، وبشرى للمحسنين﴾^(٢)

ماذا فى هذه الشواهد كلها من دلائل؟! ما معنى اقتران عروبة القرآن بالقدرة على التفصيل والبيان فى قوله تعالى : ﴿فصلت آياته قرآناً عربياً﴾ وقوله ﴿قرآناً عربياً وصرفاً فيه من الوعيد﴾ وقوله ﴿ولو جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته﴾ ، وكأن التفصيل ، والبيان ، من خصائص هذا اللسان؟! وفى مجال المقارنة بالتوراة : ماذا نفهم من النص على أن القرآن الكريم مصدق لسانا عربياً؟!

إن الله تبارك وتعالى لم يذكر فى أى كتاب أنزله اللسان الذى نزل به ، لم يأت ذلك إلا فى القرآن الكريم .. وقد نتساءل : لماذا؟ والجواب ، لأن لسان القرآن كان أداته وآيته التى قهرت المخالفين والجاحدين ، وأقامت عليهم الحجة وألزمهم الجادة ، وأبلسهم فانقطعوا عن اللجاجة ، ومن هنا أصبح القرآن الكريم ولسانه حقيقة واحدة لا ينفك أحدهما عن الآخر ، ويُعتدَى على أحدهما من حيث يُطعن الآخر ، ويستبين لنا ما فى الكتاب من ذخائر العلم والمعرفة مادامت صلتنا وثيقة بلسانه .

يقول الدكتور محمد محمد حسين فى حديثه عن الدعوات

(١) سورة فصلت الآية ٤٤ .

(٢) سورة الأحقاف الآية ١٢ .

الهدامة في العصر الحديث مشيراً إلى خطورة الدعوة إلى هدم اللغة
 بخاصة : .. وبعد فهذه الدعوة هي أخطر الشعب الثلاث التي
 عرضناها في هذا الفصل . إن الدعوات التي تستهدف هدم الدين
 والأخلاق قد تفضل جيلاً من الشباب ، لكن الأمل في إنقاذ الجيل
 القادم يظل كبيراً مادام القرآن حياً مقروءاً ، ومادام الناس يتذوقون
 حلاوة أسلوبه ، وجمال عبارته . أما هذه الدعوة الخطيرة فهي ترمي
 إلى قتل القرآن نفسه - وهيئات - والحكم عليه بأن يصبح أثراً ميتاً
 كأساطير الأولين التي أصبحت حشول فائض البردى ، أو بأن يصبح
 أسلوبه عتيقاً بالياً ، بتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه ، وتنشئتهم
 على تذوق ألوان أخرى من الأساليب المستجلبة من الغرب .. (١)

هذا هو فهم كل حصيف يدرك أبعاد الحرب الشرسة على
 اللسان العربي ، وقد برزت دلالة واضحة على الرابطة الوثقى بينه
 وبين الكتاب العزيز ، ومن أجل هذا كانت الصليبية أكثر دهاء حين
 عدلت عن حرب الإسلام مباشرة واستبدلت بها حرب اللسان . لتصيب
 المهدفين بسهم واحد ؛ ونفسر هذه الرابطة من جهة أخرى .. وذلك
 أن المسلمين في الصدر الأول بل في عصر الصحابة يفهمون القرآن
 من خلال آثار اللسان العربي وتناجه المتمثل في الشعر والحكم
 والامثال وكلمات الأعراب ، قال عبد الله بن عباس رضي الله
 عنهما : الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي
 أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا ذلك منه . ويروى
 عكرمة عن ابن عباس أيضاً : قال : إذا سألتوني عن

(١) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ج ٢ ص ٣٦٥ .

غرب القرآن فالتسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب .. (١)
وتروى كتب الغريب وعلوم القرآن حواراً رائعاً بين ابن عباس
رضي الله عنهما ونافع بن الأزرق ، نسوق جانباً منه شاهداً في هذا
المقام ، والقصة يرويها حميد بن الأعرج وعبد الله بن أبي بكر بن
محمد عن أبيه ، قال : بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة ،
قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن ، فقال نافع بن الأزرق
لنجدة بن عويمر : قم بنا إلى هذا الذي يجترىء على تفسير القرآن بما
لا علم له به ، فقاما إليه فقالا : إنا نريد أن نسألك عن أشياء من
كتاب الله ففسرها لنا ، وتأتينا بمصادقة من كلام العرب ، فإن الله
تعالى إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، فقال سلافي عما بدا لكما ،
فقال نافع : أخبرني عن قول الله تعالى : ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
عِزِّينَ﴾ (٢)

قال ابن عباس : العِزُّون : حَلَقُ الرفاق ، قال : وهل تعرف
العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت عبيد بن الأبرص وهو
يقول :

فجاءوا يُهْرَعُونَ إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿مَنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ (٣) قال :
الملتزق ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت
قول النابغة :

فلا تحسبون الخير لا شر بعده ولا تحسبون الشر ضربة لازب

(١) راجع الإتيان للسيوطي ج ١ ص ١٧٥ .

(٢) سورة المعارج الآية ٣٧ . (٣) سورة الصافات جزء من آية رقم ١١ .

قال أخبرني عن قوله تعالى : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا﴾ ^(١) قال : الأشباه والأمثال ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول ليبيد بن ربيعة :
أحمد الله فلا ند له بيده الخير ما شاء فعل
قال أخبرني عن قوله تعالى : ﴿فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾ ^(٢) ، قال :
النهر : السَّقه ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول ليبيد بن ربيعة :

ملكنت بها كنى فأنهرت فنتقها يُرى قائم من دونها ما وراءها
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿لَمَن خَافَ مِنْ مَوْصِ جَنْفًا﴾ ^(٣) قال : الجنف : الجور والميل في الوصية ، قال : وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول عدى بن زيد :
وأملك يا نعمان في أخواتها تأتين ما يأتينه جنفاً وزوراً
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿لَهُمْ مِنْ قَضَىٰ نَجْبَةٍ﴾ ^(٤)
قال : أجله الذي قدر له ، قال وهل تعرف العرب ذلك ؟ قال : نعم ، أما سمعت قول ليبيد بن ربيعة :

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحب فيقضى أم ضلال وباطل ؟
قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿مُقِيمَتَا﴾ ^(٥) قال : قادراً ، أما سمعت قول أميمة الأنصاري :
وذى ضغن كفت النفس عنه وكنت على إساءته مُقيمتا

(١) سورة البقرة جزء من آية رقم ١٦٥ . (٢) سورة القمر الآية ٥٤ .

(٣) سورة البقرة الآية ١٨٢ . (٤) سورة الأحزاب ، جزء من الآية ٢٣ .

(٥) سورة النساء كلمة من الآية رقم ٨٥ .

قال : أخبرني عن قوله تعالى : ﴿لَا تَوَاعِدُوهُمْ سراً﴾^(١)
 قال : السر : الجماع أما سمعت قول أمرىء القيس :
 ألا زعمت بسباسة اليوم أننى كبرت وألا يحسن السر أمثالى
 هذا جانب يسير مما دار فى هذا الحوار العلمى الذى يكشف
 عن قدرة هذا اللسان وقد رويت مسائل نافع بن الأزرق بأسانيد
 متعددة ، ووعتها بطون كتب التراث وقد ذكر جانباً منها أبوبكر بن
 الأبنارى فى كتاب الوقف والابتداء ، والطبرانى وعرضها السيوطى
 بإيجاز^(٢)

وهنا دلالة هامة تكشف عما يسميه العلماء بغريب القرآن ؛ إذ
 الغرابة ناشئة عن قصر مدارك الإنسان نفسه ، أو غرابة بيئته ، أما
 اللفظ القرآنى فهو مأنوس عند العالمين ، مألوف عند من له خبرة
 بفصيح الألفاظ ؟ إذ أن الكتاب العزيز اصطنى من لغة قريش أنقى
 ألفاظها ، كما اصطنى من لغات القبائل أفصح ما فيها من كلمات .
 ومن شواهد هذا ما روى أن أبابكر سئل عن قوله تعالى :
 ﴿وفاكهة وأبا﴾ فقال : أى سماء تظلمنى ؟ وأى أرض تقلنى ، إن أنا
 قلت فى كتاب الله ما لا أعلم .

وقرأ عمر الآية نفسها على المنبر ، فقال : هذه الفاكهة قد
 عرفناها ، فما الأب ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال : إن هذا هو الكلف
 يا عمر !!

وعن ابن عباس رضى الله عنها قال : كنت لا أدرى : ما فاطر

(١) سورة البقرة الآية ٢٣٥ .

(٢) الاتقان للسيوطى ج ١ من ص ١٥٧ إلى ص ١٧٥ .

السموات ، حتى أتاني إعرابيان يختصمان ، فقال أحدهما : أنا فطرتهما . يقول : أنا ابتدأتها !!^(١)

ففي القرآن الكريم : سامدون^(٢) (الغناء) - معاذيره^(٣) (مستوره) - وَزَرَ^(٤) (حبل) والمرجان^(٥) (صغار اللؤلؤ) وهذا كله من لغة اليمن ، وَبَعَلًا^(٦) بمعنى (رب) في لغة أزدشنوة . وبورا^(٧) بمعنى (هلكى) بلغة عمان . ومراغماً^(٨) بمعنى (منفسحاً) بلغة هذيل . ولا يلتكم^(٩) بمعنى (لا ينقصكم) بلغة عبس . وقوله تعالى ﴿أَفَلَمْ يَأْسَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾^(١٠) بمعنى : أفلم يعلموا بلغة هوازن .

هذا قلُّ من كُثْرٍ يؤكد أن الكتاب الحكيم استوعب ما وعاه هذا اللسان من فصيح الألفاظ ، ونقيّ الكلمات .

مزايا اللسان العربي وخصائصه :

وعلى ضوء ما قرناه من قدرة اللسان العربي على استيعاب ما جاء في الكتاب العزيز من تشريع ومواعظ ، وقصص وأخبار ، وعلوم ومعارف مما يعد دليلاً لا ريب فيه على ما تميز به هذا اللسان في كل مستويات التعبير تضيف لذلك أموراً أخرى تفرد بها بين ألسنة البشر جميعاً .

-
- | | |
|------------------------------------|-------------------------------------|
| (١) المرجع السابق ص ١٤٩ . | (٢) سورة النجم جزء من الآية ٦١ . |
| (٣) سورة القيامة جزء من الآية ١٥ . | (٤) سورة القيامة جزء من الآية ١١ . |
| (٥) سورة الرحمن جزء من الآية ٢٢ . | (٦) سورة الصافات جزء من الآية ١٢٥ . |
| (٧) سورة الفرقان جزء من الآية ١٨ . | (٨) سورة النساء جزء من الآية ١٠٠ . |
| (٩) سورة الحجرات جزء من الآية ١٤ . | (١٠) سورة الرعد جزء من الآية ٣١ . |

لقد كان لسان العربى حاسماً كسيفه ، معطاء مطوعاً كيده .
صوتيات اللسان العربى سهلة ، سمحة ، ميسورة ، لا تحس
عند النطق باللفظ بارهاق يلم بعضلات اللسان ، والفم ، وسائر
مخارج الحروف ، بل تنساب الكلمات انسياب الماء سلسة سخبة .
ولكل حرف صفات متنوعة تجعل من الكلمة العربية قيمة
تعبيرية ، ودلالية واسعة وثروتها فى المفردات شاملة ، واعية ،
غزيرة ، فياضة ؛ قوانينها التصريفية والاشتقاقية تكسيها خصوصية
وثرأء ، فتأخذ من «كتب» مثلاً كلمات عدة ، تختلف عنها فى
الدلالة ، طبقاً لقوانين يغلب أطرازها ، والإعراب سمة من سماتها
الرائعة ، وقرينة من القرائن الهامة فى إبراز المعنى وطاقتها البيانية غير
محدودة .

فالعطاء البيانى للسان العربى قبل الإسلام ، يلفت النظر...
أيمكن أن يكون هذا من نتاج قبائل يعيش أكثرها فى البداوة ؟
يقول الدكتور طه حسين ، تعليقاً على أبيات للمثقب العبدى ،
يصف فيها ناقته ويقول :

إذا ما قت أَرْحَلُهَا بليلاً ثَأْوُهُ آهَةٌ الرجل الحزين
تقول إذا درأت لها وضيئى : أهذا دينه أبداً ودينى ؟
أكل الدهر حلٌّ وارتحال أما يبقى عَلَى ولا يقينى
قال : إنه أول شاعر فى تاريخ البشرية يصف مشاعر الحيوان^(١)
على أن عنترة العيسى فعل هذا عندما وصف فرسه فى

(١) حديث الأربعاء ج ١ ص ١٦٩ ط دار المعارف مصر سنة ١٩٧٥ م .

قصيدته المعلقة ، فقال :

فأزور من وقع القنا بلبانه وشكا إلى بعبرة ، وتحننهم
لو كان يدرى ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمى
ليست هذه الخصائص التى ذكرتها مجرد عواطف ، أو
تصورات يقولها محب للسان قومه ، فأضله الحب سواء السبيل ،
ولكن غير العرب شهدوا للغة العرب بما قلت وأكثر مما قلت .
يقول فيليب حتى فى كتابه تاريخ العرب : «قد لا يكون من بين
البشر قاطبة من يستثيره التعبير ، وتحركه الكلمة منطوقة كانت أو
مكتوبة مثل العرب ، إن من العسير أن تجد لغة من لغات العالم
تَحْظَى بهذا التأثير الذى لا يُقَاوَم على عقول أصحابها . إن الجمهور
العربى المعاصر سواء فى بغداد ، أم فى دمشق ، أم فى القاهرة يحرك
وجدانه إلى أقصى درجة ممكنة إنشاد قصيدة ما ، وإن تعذر عليه
فهمها كاملة ، ويستثير مشاعره إلقاء خطبة بالعربية الفصحى ، وإن
غاب عنه فهم بعضها ، إن للإيقاع الشعرى والموسيقى ، والتناغم
بين أجزاء الكلام ما للسحر على نفوس هذا الجمهور العربى ، بل
هو ما يسمى بالسحر الحلال»^(١)

وهذا روفائيل بتى يعبر عن آرائه ومشاعره الخاصة نحو اللغة
العربية بعد أن أجاد تسع لغات هى : العربية والإنجليزية والفرنسية
والألمانية والهندية ، والآرامية ، والعبرية ، والفارسية ، والروسية فى
كتابه The Arabes Men الصادر فى سنة ١٩٧٦ فى نيويورك ص ٤٨ .

(١) كتاب تاريخ العرب ص ٦٠ ، ص ٦١ ، وترجمة النص فى كتاب الأسس المعجمية
والثقافية - د. رشيدى طعين - إصدار معهد اللغة العربية - جامعة أم القرى .

«إننى أشهد من خبرتى الذاتية أنه ليس ثمت من بين اللغات التى أعرفها لغة تكاد تقترب من العربية سواء فى طاقتها البيانية أم فى قدرتها على أن تخترق مستويات الفهم والإدراك ، وأن تنفذ وبشكل مباشر إلى المشاعر ، والأحاسيس ، تاركة أعمق الأثر فيها ، وفى هذا الصدد فليس للعربية أن تقارن إلا بالموسيقى»^(١)

هاتان شهادتان تُفصّحان عن خصائص كريمة فى هذه اللغة العريقة والفضل ما شهدت به الأعداء .

ونضيف لذلك أمراً آخر ، إنه الحرف العربى الذى رسمت به كلمات هذا اللسان فى هذا الحرف إمكانات فنية وزخرفية هائلة ؛ بجانب يسره وسهولته ، وقلة الجهد الذى يبذل معه ، وأنه اختزالى بطبعه والشاهد على هذه الحقيقة أحد المستشرقين :

يقول المستشرق «ريتس» أستاذ اللغات الشرقية بجامعة استانبول ، وهو من المخضرمين ، أعنى الذين حاضروا فى الجامعة قبل حركة كمال أتاتورك وبعدها «إن الطلبة قبل الانقلاب كانوا يكتبون ما أملى عليهم من محاضرات بسرعة فائقة ، لأن الخط العربى اختزالى بطبعه ، أما اليوم فهم يفتأون يطلبون إعادة العبارات مراراً ، وهم معذورون فيما يطلبون ؛ لأن الكتابة اللاتينية لا اختزال فيها .. ثم أضاف قائلاً : «إن الكتابة العربية أسهل كتابات العالم ، وأوضحها ، فمن العبث إجهاد النفس فى ابتكار طريقة جديدة لتسهيل السهل ، وتوضيح الواضح»^(٢)

(١) راجع المصدر السابق ص ١٨ .

(٢) مجلة الأمة ص ٧١ عدد جادى الأول ١٤٠٤ هـ نقلاً عن محاضرة عن الخط العربى وتطوره للخطاط المصرى سيد إبراهيم بتاريخ ١٩٧٧/١٢/٢٩ .

فإذا أضفنا إلى ذلك قابليته الاتصال بعضه ببعض سواء أكان مكتوباً أم مطبوعاً كما تتنوع أشكال الحرف الواحد ، وفيه قابلية للاستمداد ، والتخطيط ، كما أن الزخارف القائمة على الخط العربي على مدى التاريخ تعجب وتدهش ، والعمارة الإسلامية في نقوسها اعتمدت كثيراً على إمكانات الخط العربي ، وهكذا يسر الله لهذا اللسان كل أسباب الفضل على كل مستويات الأداء حتى في رسم حروفه ، وكتابة كلماته ؛ إذا استطاع الحرف العربي أن يغزو ألسنة الأمم الأخرى ، ولا أريد أن أختم حديث الخصائص التي تفرد بها هذا اللسان دون أن أذكر هذه الكلمة المعبرة ، للمحقق العلامة الشيخ محمود شاكر ، يقول : « وإذا كانت اللغة هي خزانة الفكر الإنساني فإن خزائن العربية قد ادخرت من نفيس البيان الصحيح عن الفكر الإنساني ، وعن النفوس الإنسانية ما يعجز عنه سائر اللغات ؛ لأنها صفت منذ الجاهلية الأولى ، المَعْرِقة في القِدَم ، من نفوس مختارة بريئة من الحسائس المزرية ، ومن العلل الغالبة ، حتى إذا جاء اسماعيل نبي الله ابن إبراهيم خليل الرحمن أخذها وزادها نصاعة وبراعة وكرماً ، وأسلمها إلى أبنائه من العرب ، وهم على الحنيفية السمحاء دين أبيهم إبراهيم ، فظلت تتحدر على ألسنتهم مختارة ، مصفاة ، مبرأة حتى أظل زمان نبي لا ينطق عن الهوى ﷺ فأُنزل الله بها كتابه بلسان عربي مبين ، بلا رمز مبني على الخرافات والأوهام ، ولا ادعاء لما لم يكن ، ولا نسبة كذب إلى الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً »^(١)

(١) أباطيل وأسمار للشيخ محمود شاكر ص ٤٣٦ .

أضافت هذه الكلمة الواعية إلى ما قلنا من سمات لهذا اللسان
الكريم تحليلاً تاريخياً يفسر الإمكانيات الكبيرة التي يملكها هذا
اللسان ، وبخاصة الوضوح والصفاء والقدرة الفائقة لكلماته في حمل
كنوز المعاني ، وتوصيلها إلى الناس .

ولا تعجب - إذن - بعدما عرفنا من هذه المزايا أن تأهل اللسان
العربي لتزول أحسن الحديث ، وأصدق القول ، وأعذب الكلام .

انتشار اللسان العربى بانتشار الإسلام

كان الاستعمار الحديث على امتداد القرنين التاسع عشر والعشرين إذا نكب بلداً يجند كل طاقاته ، ويرصد كل إمكانيته فى أن يصبغها بصبغته ، ويطبعها بطابعه ، وكانت خطته فى بلاد الإسلام أن يطارد اللسان العربى ، ويحتال لذلك أشد الحيلة ، ويؤبىء بالفشل ، وإن أحرز نجاحاً كان بخاصة محدوداً ما يكاد يحرز ثمرته حتى تغيب شمسهُ ، وبأفل نجمه ، لكن الشئ الذى يقف أمامه التاريخ والمؤرخون هو أمر اللسان العربى . لقد سار مع الإسلام فى مسيرته ، وواكبه فى حركته ، وانتشر بانتشاره ، فإذا أشرق الإسلام على بلد رشدت العقول ، وتعربت الألسنة حتى أصبحت أصداء هذا اللسان تتردد فى المشارق والمغارب ، وإذا لم تعرب الألسنة تماماً تعربت حروف الكتابة فى لغاتها ، إنه دين ولسان ، ولأول مرة فى تاريخ الرسالات يقترن الدين بلسان معين لا يمكن أن يستقيم أمر الإنسان على ذلك الدين إلا باستقامة لسانه على لسان هذا الدين .

نعم ما أرسل الله رسولاً إلا بلسان قومه ليبين لهم كما قال رب العالمين ، لكن لسان العرب الذى جاء به الإسلام يُحْمَلُ هذه الأمة مسئولية دعوة البشرية كانت تكمن فيه عناصر القوة ، البقاء ، وبواعث الإغراء التى تحرك ملايين البشر للنطق به ، لأن العربية

ليس لها أن تقارن إلا بالموسيقى كما قال روفائيل بتي ، ثم هذا الكتاب المبين الذى هو آية فى نظمته وبلاغته فجر الطاقات الكامنة فى هذا اللسان ، وأبرز إمكاناته الواسع ، والذى يلفت النظر أن هذا الانتشار الواسع والسريع والعميق لهذا اللسان فى بلاد الشام والعراق ، ومصر وشمال إفريقيا ، وفى بلدان غير ذلك كثيرة تم دون جبر أو إكراه ، ومن غير خطة دبرها الدعاة لذلك . لكنها العقيدة تملأ الوجدان فيدرك صاحبها أنه فى حاجة إلى المزيد من خير زاد ، فتتجه همته قوية فتيّة إلى هذا اللسان المبين لتصبح فى متناوله كنوز العلم والمعرفة التى وعها الكتاب العزيز .

إن الإسلام مئة على ذلك اللسان ، كشف قدرته ، وحوله إلى لسان عالمى ؛ ونزول القرآن الكريم به دليل على فضله وسمو قدره ، لا سيما أنه كان برهان أيتّه كما كان الحجة التى أفحمت وأعجزت المعاندين الضالين ؛ ثم برزت - نتيجة سلبية لانتشار اللسان العربى ، واختلاط العرب بغيرهم بعد الفتح الإسلامى ، ونطق غير العرب باللسان العربى - فيه لكنة وعجمة ؛ وكانت النتيجة انتشار اللحن . وحاولت العجمة أن تغتال الفصاحة فى هذا اللسان بحكم المجاورة والاختلاط .

يقول الزبيدى^(١) : ولم تزل العرب تنطق على سجيّتها فى صدر إسلامها ، وماضى جاهليّتها حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجا وأقبلوا إليه أرسالا^(٢) واجتمعت

(١) أبوبكر محمد بن الحسن الزبيدى ، أندلسى من اشيلية لغوى ونحوى وأديب له طبقات النحويين ، ولحن العامة توفى سنة ٣٧٩ هـ .

(٢) ارسالا أى طوائف .

فيه الألسنة المتفرقة واللغات المختلفة ، ففسد الفساد في اللغة العربية ، واستبان منه في الإعراب الذي هو حليتها ، والموضح لمعانيها ، فتفطن لذلك من نافر بطباعه سوء أفهام الناطقين من دخلاء الأمم بغير المتعارف من كلام العرب ، معظم الإشفاق من فُشُو ذلك وغلبته ، حتى دعاهم الحذر من ذهاب لغتهم وفساد كلامهم»^(١)

ومن هنا تحرك العُيُر منذ ظهرت بوادر اللحن للتصدى له والوقوف أمام تياره لا لمجرد الحفاظ على اللسان ، ولكن من أجل أن تظل صلة الناس وثيقة بالقرآن ؛ وقد بدأت المقاومة مبكرة واتخذت صوراً عدة .

(أ) منها استنكار صدور اللحن من العرب الفصحاء .

قال النبي عليه الصلاة والسلام لرجل لحن أمامه : «أوشدوا أحاكم»^(٢) والكلام هنا موجه إلى من حضروا المجلس ، واستمعوا للحنه .

وجاءت لعمر رضى الله عنه رسالة من أبي موسى الأشعري ، وفيها : «من أبو موسى ... فغضب عمر ، وأمر أبا موسى أن يضرب كاتبه سوطاً ، ويؤخر عطاءه» وقال ابن شُبْرمة^(٣) : إن الرجل

(١) مقدمة طبقات النحويين ص ١١ .

(٢) كثر العمال ج ١ ص ٥٤ وزاد أبو الطيب اللغوى في مراتب النحويين ... فقد ضل .. وفي الحفائض لابن جنى ج ٢ ص ٨ (فإنه قد ضل) وكذا الأدلة للآتيارى ص ٩٦ .

(٣) هو عبد الله بن شبرمة الضبي ، قاضى الكوفة ، وكان فيها شاعراً توفى سنة ١١٤ هـ - خلاصة تذهيب الكمال ص ١٧٠ .

لِيَلْحَنَ وعليه الخرز الأدكن ، فكأن عليه أخلاقاً^(١) ، ويعرب وعليه أخلاق فكأن عليه الخرز الأركن^(٢)

(ب) الدعوة إلى تعلم العربية وتناشد الأشعار ، فغير العرب من المسلمين طلب منهم تعلم العربية ، كما طلب من العرب الفصحاء تناشد الأشعار للحفاظ على فصاحتهم وسلامة سليقتهم .

وعن أبي مسلم رضى الله عنه قال : قال عمر بن الخطاب : تعلموا العربية فإنها تُشَبِّبُ^(٣) العقل ، وتزید من المروءة ..^(٤) ، كما روى عنه أيضاً : تعلموا الفرائض والسنة ، واللحن ، كما تتعلمون القرآن ..^(٥) وعن سعيد بن المسيب قال : بينما حسان بن ثابت يُنْشِدُ الشعر في مسجد رسول الله ﷺ ، فجاء عمر فقال : يا حسان بن ثابت تنشد الشعر في مسجد رسول الله ﷺ فقال : أنشدت فيه ، وفيه من هو خير منك .. وقيل لسعيد بن المسيب أيضاً : إن أناساً يكرهون ! نشاد الشعر ، فقال : نَسَكُوا نُسْكَاً أعجمياً ...^(٦)

(ج) اتخذت المقاومة صوراً إيجابية تمثلت في عدة وسائل تزامنت وتعاصرت ، فوضع أبو الأسود نقطاً على خط المصحف لأجل الشكل^(٧) ، ولتلافي الوقع في اللحن فكانت بمثابة الضبط الإعرابي ، وذلك أنه أجلس الكاتب وأمره بملاحظة شفتيه عند

(١) ثوب أخلاق أى بال . (٢) طبقات النحويين ص ١٣ .

(٣) تحركه إلى التفكير وثبته . (٤) طبقات النحويين ص ١٣ .

(٥) المرجع السابق . (٦) المرجع السابق ص ١٦ .

(٧) راجع كتابنا : علوم القراءات - مدخل وتحقيق ص ٢٠ .

القراءة ، فيضع فتحة على الحرف الذى تفتح فيه شفتاه ، وواوا صغيره على الحرف الذى تضم فى نطقه شفتاه ، وكسرة تحت الحرف الذى تكسر معه شفته ؛ وكانت هذه محاولة عظيمة لصد تيار اللحن وبخاصة فى الكتاب العزيز ؛ كما وضع تلامذة أبى الأسود : نصر بن عاصم ^(١) ، ويحيى بن يعمر ^(٢) ، وعبد الرحمن بن هرمز ^(٣) النقط على الحروف لإزالة الإعجام .

وفى الوقت نفسه ومنذ عهد أبى الأسود الدؤلى الذى كان والياً لعلى بن أبى طالب على البصرة كانت هناك محاولة جادة وجريئة لوضع ضوابط تعصم اللسان من اللحن ، وكان على رأسها ظالم بن عمرو بن سفيان الدؤلى ، وينتهى نسبه إلى كنانة ، وتشير المراجع إلى أن ذلك كان بتكليف من على رضى الله عنه ، يقول الزبيدى عن أبى الأسود : وهو أول من أسس العربية ، ونهج سبيلها ووضع قياسها ، وذلك حين اضطرب كلام العرب ، وصار سراة الناس ووجوههم يلحنون ، فوضع باب الفاعل والمفعول به ، والمضاف ، وحروف النصب والرفع والجر والجزم ^(٤)

وتوالى أعلام العلماء بعد أبى الأسود ، يضعون لبنات فى صرح علم العربية (النحو) ومما يثير الانتباه فى مسيرة النحو أن جمهرة أعلامه كانوا من غير العرب ، فسيبويه إمام النحاة ، وكتابه أهم

(١) هو نصر بن عاصم الليثى ، عالم بالعربية من تلامذة أبى الأسود توفى سنة ٨٩ هـ .

(٢) هو يحيى بن يعمر العدوانى ، تولى قضاء خراسان ، وكان فصيحاً ، بليغاً توفى سنة ١٢٩ هـ .

(٣) يعرف بأبى داود الأعرج توفى سنة ١١٧ بالإسكندرية .

(٤) طبقات النحويين للزبيدى ص ٢٣ .

مرجع فيه كان مولى لبني الحارث بن كعب وكان في أول الأمر يدرس الحديث على حماد بن سلمة ، وذكر له هذا الحديث : «ليس من أصحابي أحد إلّا ولو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء .. فقال سيبويه : ليس أبو الدرداء ، فصاح به حماد : لحن يا سيبويه ، إنما هذا استثناء ، فقال سيبويه : والله لأطلبن علما لا يلحنني معه أحد ، ثم مضى ولزم الخليل وغيره»^(١) ومن قبل سيبويه كان عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي مولى لآل الحضرمي وعيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ مولى بني ثقيف ، والأخفش الأكبر ، أبو الخطاب المتوفى سنة ١٧٧ هـ مولى بني ثعلبة .

ويونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٢ هـ مولى بني ضبة ، وكلهم من أعلام النحو قبل سيبويه ؛ وبعد سيبويه . كان أبو محمد يحيى بن المبارك اليزيدي المتوفى سنة ٢٠٢ هـ مولى لبني عدى والأخفش الأوسط سعيد بن مسعدة المتوفى سنة ٢١٥ هـ مولى لبني مجاشع من تميم وكان المازني أبو عثمان بكر بن محمد مولى بني سدوس ، وكان أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي المتوفى سنة ١٨٩ هـ مولى لبني أسد ، وكان أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ مولى لبني أسد أيضاً ، وكان أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ مولى لبني شيان^(١) . وكل هؤلاء الذين ذكرتهم هم أعلام هذه الدراسة ، الذين

(١) معنى اللب عن كتب الأعراب - مبحث ليس ج ١ ص ٢٩٤ ، وراجع كتابنا : الخلاف بين النحويين تاريخ وتقوم .

توفروا على وضع قوانينها ، وإقامة صرحها الباذخ ، حتى إن النحو كان يعرف في عصوره الأولى بصنعة الموالي .

وقد مر أعراى على بعض الموالي يتذاكرون قضايا النحو ، فقال لهم : والله لئن كنتم أول من أصلحه إنكم أول من أفسده ^(١) . وهذا الأمر فيه دلالة ذات بال ، هي أن اللسان العربى أول لسان حظى باهتمام غير أبنائه بصورة لم ينلها لسان آخر . وسر ذلك يتمثل فى أمرين .

أولها : ارتباطه بالكتاب العزيز الذى يهمهم فهمه ودرسه .
والآخر : خصائصه التى استهوت دارسيه حتى نبغوا فيه ، وبرزوا فى أدبه شعرا ونثرا .

وتتابعت الجهود ترسى قواعد لعلوم متنوعة تحقق الحفظ والصيانة للسان الكتاب الحق ، فكما توافر هؤلاء الأعلام من النحاة لوضع قواعد النحو لصون اللسان ودفع اللحن وجدنا من ناحية أخرى الباقلانى والرمانى والجرجانى ، والسكاكى والقزوينى يتوفرون على وضع مقاييس لبلاغة العرب من أجل إبراز معالم الآيات القرآنية فى البيان والنظم والعبارة ، وماذاك إلا لأن الحفاظ على اللسان حفاظ على الدين .

واللسان العربى هو خط الدفاع الأول عن الإسلام ، وإن هذه الآلاف المؤلفة من كتب التراث فى اللغة والنحو والصرف ، والبلاغة لم تكن إلا ردءا للذياد عن الدين ، وصيانة الكتاب

(١) راجع كتابنا : الخلاف بين النحويين : تاريخ وتقوم - التمهيد .

المبين ، وما من مؤلف فى أى علم من هذه العلوم اللسانية إلا ويقدم لعمله فى هذا العلم بأن وراءه الحفاظ على الكتاب العزيز ، سواء أكان نحواً أم صرفاً ، أم فى ميدان اللهجات والأصوات أم فى علوم البلاغة وبيان عناصر الألفاظ والإقناع فى الآفة القرآنية ، وإن شئت قل : وجوه الإعجاز مع تحفظ لى على هذا المصطلح عند المتكلمين والبلاغيين .

إن القرآن الكريم كان مصدر الكثير مما وضع فى عصر ازدهار الحضارة الإسلامية من علوم ومعارف ، يقول السيوطى فى مقدمة كتابه الإتقان :

« إن كتابنا القرآن هو مُفَجِّر العلوم ومنيعها ، ودائرة شمسها ، ومطلعها ، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شىء ، وأبان فيه كل هدى ونهى ، فترى كل ذى فن منه يستمد ، وعليه يعتمد ، فالفقيه يستنبط منه الأحكام ، ويستخرج حكم الحلال والحرام ، والنحوى يبنى منه قواعد إعرابه ، ويرجع إليه فى معرفة خطأ القول من صوابه ، والبيانى يهتدى به إلى حسن النظام ، ويعتبر مسالك البلاغة فى صوغ الكلام ، وفيه من القصص ، والأخبار ما يذكر أولى الأبصار ، ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولوا الفكر والاعتبار ، إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها . هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب ، تبهر العقول وتسلب القلوب ، وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا اعلام الغيوب» (١) .

(١) الإتقان للسيوطى - المقدمة ص ٤٢٣ .

في ظلال هذه الضوابط ، وفي صيانة هذه العلوم والمعارف تحركت مسيرة اللسان العربي ، محتفظة بقوتها ، وآصالها ، وفي رعاية أعلامها ، وعلمائها ، وروادها ، ولقد فرض اللسان العربي نفسه على امتداد قرون كثيرة على ملايين البشر ، وبفعل عوامل شتى منها جفاف منابع الفصاحة في البادية بانتشار الحضارة ، وعمق الاختلاط بالعناصر الأخرى وسعته ، وسقوط منزلة البدو بعد عدة ثورات مدمرة في النصف الثاني من العهد العباسي نسبت إليهم ، وأحفظت الناس عليهم ، وترجمة معارف اليونان والفرس وانتشار مصطلحاتهم ، بتأثير هذا كله بدأت تظهر لغة أخرى ليست بالفصيحة جرت على ألسنة العامة في الحديث والتخاطب كما لم تفلت من غائلتها ألسنة الخاصة ، تلك هي التي عرفت بالعامية وأخذت تزاحم الفصحى لتحتل أرضاً في حوزتها ، ولكن الفصحى ظل لها السلطان ويبيدها الغلب ، وفي تقدير القوم هي لغة الفصاحة والعلم والأدب ، ولسان أهل الفضل ، أما هذه التي جدت فلم تجد لها أرضاً تقف عليها إلا عند السوق .

إن الله تبارك وتعالى تكفل بالحفاظ على كتابه ، وهذا يعني الحفاظ أيضاً على لسانه ؛ إذ قال سبحانه : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^(١)

وتمت ملاحظة دقيقة هي أن الآية سَمَّتِ القرآن الكريم «ذكراً» ، ولا ذكر بلا لسان يَذْكُرُ وَيُذَكَّرُ ، ويقدم للعقل ما به

(١) سورة الحجر الآية ٩ .

يتذكر ، ولم تتوقف جهود العلماء أمام العامية التي نشأت بل رصد العلماء هذه الظاهرة وكتبوا مؤلفات فيما تورط الناس فيه من أخطاء سواء أكانوا من العوام أم الخواص فوجدنا كتباً تؤلف في لحن العامة مثل : لحن العامة للكسائي ، ولحن العامة للزبيدي كما ألف فيما بعد الحريري كتابه درة الغواص في أوهام الخواص .

والحقيقة التي نؤكددها في هذا الصدد أن هذا اللسان الذي وعى التراث العربي والإسلامي كان له السيادة والظهور على امتداد العصور الوسطى ، واستطاع - لما أسلفنا - أن يستبقى خصائص القوة في عصرنا الحديث ، يقول إرفنج Irving إن هذه الجذور المتنوعة ، وما يمكن أن يطرأ عليها من تغييرات تعز على الحصر تجعل العربية إحدى اللغات العظمى في العالم أجمع ، ومن أجل هذا فهي جديرة بأن تُعَلَّم إنها بحق إحدى اللغات الكلاسيكية العظمى ، وتقف بجدارة على نفس مستوى كل من اليونانية والسنسكريتية^(١) .

فإرفنج يشيد بعظمة هذه اللغة على مدى التاريخ ، وعلى مستوى العالم أجمع ، وجاء في كلمته لفظ (الكلاسيكية) وهو يعنى العراقة والقدم ، بينما المعاصرون الذين يقلدون الغرب في هذا التعبير يعنون معنى لا يتمشى مع القيمة الذاتية والتاريخية لهذه اللغة . ويقول أنور شحته في كتاب له عن اللغة العربية صدر عن جامعة « مينسوتا » الأمريكية عام ١٩٦٩ : منذ العصور الوسطى

(١) الأسس المعجمية ص ١٨ .

واللغة والعربية تتمتع بعالمية جعلت منها إحدى لغات العالم العظمى على نفس المستوى الذى حظيت به كل من اليونانية ، واللاتينية ، والانجليزية ، والإسبانية ، والروسية ، ولا يعزى هذا إلى عدد متكلميهما فحسب ، بل أيضا إلى المكانة التى تشغلها فى التاريخ ، والدور الذى لعبته فيه ^(١) .

هذا هو اللسان العربى بكل خصائصه ومقوماته ، بقيمه الذاتية ، وعراقته التاريخية ، ورسالته الراشده فى توجيه بنى الإنسان لقد شهد له أعدؤه ، كما اعتر به أولياؤه ، وبجانب هذا أصبح لسان أمة متعددة الأجناس ، مترامية الأطراف ، يلتقى أكثرها عليه ، كما تلتقى كلها على تقديره وإعزازه ، والطموح إلى التحدث به ، ولأجل هذا استهدفت هذه الأمة فى لسانها ، وفى الفصل الثانى نعرف البواعث والأسباب .

(١) الأسس المعجمية ص ١٦ .

الفصل الثانى

خطة لضرب اللسان العربى

الدوافع ، والأسباب ، والوسائل

« متى توارى القرآن ، ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة الذى لم يعبده عنها إلا محمد وكتابه » .

وليم جيفورد بلجراف

ماذا وراء التفكير في ضرب اللسان العربى ؟

عرف أعداء العروبة والإسلام قدر اللسان العربى ، وأدركوا تماما عمق تأثيره ، وأبعاد خطورته ، وأنه سد منيع دون تحقيق الكثير من أهدافهم ومآربهم .

ولقد كان الغزو الاستعمارى لهذا الأمة شاملا ، يستهدف جوانب عدة ليصبغ الناس بصبغته ، فوجه ضربات للدين والأخلاق واللغة ، وكان الغزو اللغوى أخطر الجوانب الثلاثة جميعا . ويصف الشيخ محمود شاكر أبعاد هذه الغزو ومداه فيقول : كان غزوا ، أقل ما فيه نكاية « هو الجيوش ، وأبلغه افتراسا هو التجارة ، وأفتكه بالإنسان هو التبشير » ثم يقول : « فكان أخفى طريق عرفه المبشرون وأقرته سياسة الدول الأوربية الغازية هو « طريق التعليم » ؛ لأن حاجة الناس إلى العلم لا تنقطع ، وبخاصة فى زمن اليقظة بعد الغفوة ، هذه واحدة ، والأخرى أن التعليم يضمن تنشئة أجيال صبغوا على أيديهم معلمهم بالصبغة التى يريدونها الدهاء من أساتذتهم » (١) .

ثم يواصل الشيخ تفصيل جوانب الحديث فى هذه القضية ، كاشفا أبعاد هذا الغزو الفكرى عن طريق التعليم ومناهجه ، فيقدم

(١) أباطيل وأسمار ص ١٨٣ إلى ص ١٨٥ .

فقرات لباحث مصرى ، اسمه جرجس سلامة تتسم كتابته بالإنصاف والموضوعية ، وتحدث عن تاريخ التعليم الأجنبى فى مصر فيقول الأستاذ سلامة : وزاد من خطورة كل ذلك أن جميع المدارس الأجنبية دون استثناء قد أسهمت بنصيب كبير فى إضعاف اللغة العربية ، فهى تلقى فى خضم الحياة المصرية كل عام من ينظرون إلى غيرهم من طبقات المتعلمين فى المدارس الحكومية الوطنية نظرة متعالية ، وينظرون إلى اللغة العربية نفس النظرة « (١) » .

قد برح الخفاء ، وبدت جوانب المؤامرة ، فالمطلوب فى أول الأمر بث روح الكراهية والازدراء بالنسبة للسان العربى ويقدر صلته الإنسان بهذا اللسان يكون نصيبه من زارية العصابة الاستعمارية ، وأذناها ، والمتعلمون فى المدارس الوطنية الحكومية ينالون قدرا من الزارية من زملائهم الذين تعلموا فى المدارس الأجنبية حيث خلوات التبشير ؟ لأن لهم صلة ما باللسان العربى . وبالتالي من تعلموا فى الأزهر حيث الحصن الحصين للغة والدين يكون نصيبهم من مقت القوم اعظم واكبر .

لماذا هذا كله ؟ هل اللسان العربى هو الهدف المباشر ام انه هدف يضرب به هدف اكبر واعظم ؟ سأتارك الاجابة لهذه الوثيقة التاريخية ، اقرا معى هذه الرسالة التى بعث بها شكيب ارسلان امير البيان العربى لمصطفى صادق الرافعى بعد ان كتب مقالا عن الجملة القرآنية .. فى مجلة الزهراء التى كانت تصد اوائل هذا

(١) المرجع السابق فيه كلمة الأستاذ جرجس سلامة ص ١٨٧ .

القرن ، يقول : كلاهما الأخ ، إن هذه الفئة لا تمتج الفصاحة من حيث هي ، ولا تحارب اللغة العربية نفسها ، ولكنها تحارب منها القرآن . إن هذه الفئة تحارب القرآن والحديث وجميع الآثار الإسلامية ، وتريد أن تبدل بها من كلام الجاهلين ومن كلام الفصحاء ، حتى المخضرمين والمواليد ، وكل كلام لا يكون فيه مسحة دينية .

والكاتب هنا يشير إلى محاولة أخرى لفصل الآثار الإسلامية في اللغة عن الآثار الأخرى ، ثم يواصل كلامه فيقول : (حتى إذا تم لهم ما يبتغون من غصن مكانة القرآن في صدور الناس يكونون قد طعنوا الإسلام طعنة سياسية في أحشائه على حين يزعمون أن الموضوع لغوي لا دخل له بالسياسية) ثم يقول : (إن هي الحلقة لغوية من سلسلة دسائس مقصود بها الإسلام ، لا القرآن من حيث كونه قرآنا ، ولا الفصاحة من حيث كونها فصاحة ^(١) .

وبرغم هذه الحقائق التي كشفها أدباء العصر ، ومفكروه لتزريق الأستار التي تلف الأهداف الخبيثة فإننا نجد في كلمات القوم عندما يغالبهم حقدهم الأسود مافيه تصريح بما يكيدونه ، ويدبرونه لهذه الأمة ، ولسانها المبين ، ودينها القويم وهذه أقوالهم تفضح نواياهم .

١ - يقول القسيس « زويمر » في مطلع القرن العشرين : « إنه لم يسبق وجود عقيدة دينية ، مبنية على التوحيد أعظم من عقيدة الدين الإسلامي الذي اقتحم قارتي آسيا وإفريقيا الواسعتين ،

(١) تحت راية القرآن - مصطفى صادق الرافعي ص ٣٢ ، ص ٣٣ .

وبث في مائتي مليون من البشر عقائده ، وشرائعه ، وتقاليده وأحكم عروة ارتباطهم باللغة العربية » ، وهو بهذا لا يريد الشهادة بالفضل لأهله ، وإنما يريد أن يحذر قومه ليعنوا فيما يكيّدون ، ويعدوا خطة للمواجهة .

٢ - يقول ولیم جیفور بلجراف : متى توارى القرآن ، ومدينة مكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه » وبالطبع لا يمكن أن يتوارى القرآن إلا بالقضاء على لغته .

٣ - عقد مؤتمر بالقاهرة في ٤ من إبريل سنة ١٩٠٦ م في بيت أحمد عرابي ، الزعيم العربى المسلم ، وقد عاد من منفاه محروما من ماله وداره ، واجتمع المؤتمر وهم من المستشرقين ، برئاسة القسيس زويمر ، الذى ذكرنا كلمته آنفا ، ونادى أحد المؤتمرين بإنشاء جامعة نصرانية ، تتولى كل الكنائس المسيحية الإنفاق عليها ، لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة ^(١)

هذه هى البواعث التى تحرك القوم ، وهذا هو المدى الذى ترمى إليه خططهم الباغية ؛ وجاءت حركة الاستعمار فى القرن الماضى لتنفذ هذه الأهداف ، ولتضرب فى كل الاتجاهات وكان جلّ هؤلاء المستشرقين فلاسفة لها ، ومبشرين بها ، ويقدمون المشورة إليها ، وتحرك الجميع أطماع خلافة للاستحواذ على أرض العرب والمسلمين وامتلاك ثرواتهم ومقدراتهم ؛ وقد وضعوا فى

(١) هذه الأقوال منقولة من كتاب أباطيل وأسمار ص ١٥٨ ، ص ١٨٨ وما بعدها .

اعتبارهم خلاصة بحثهم عن تاريخ هذه الامة ، وتراثها وإمكاناتها ، والتغور التي يمكن أن ينفذوا منها إليها .
أولها : دينها الذي تتمسك به ، وكتابها الذي تحرص عليه ،
وفى الدين وكتابه من أسباب العزة والكرامة ، والقوة مافيه .
ثانيها : بجانب هذا لسانها الذي عرفوا قدره . وشهدوا بقيمته
وقدرته .

ثالثها : وضعوا في اعتبارهم تجاربهم الفاشلة في الصراع المسلح
مع المسلمين في فترات مختلفة ، ومتعددة على امتداد التاريخ .
ومن ذلك .. - هزائمهم الساحقة في شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا
والبرتغال) أو بلاد الأندلس حيث عبرت جيوش المسلمين جبال
البرانس ، ووصلوا إلى أبواب فرنسا ، وأصبحت أوروبا محاطة
بالمسلمين من الشرق ومن الغرب بحزام حضارى متين .
- تجربة الحروب الصليبية ، والحملات التي أيدت قبل أن
تصل ، والتي فشلت عند وصولها ، وملوكهم الذين سقطوا
أسرى ، وقد كشفت هذه الحروب التي كانت في جوهرها صراعا
بين قيم وحضارات عن خفة المبادئ التي تحرك لها الغوغاء
والمتعصبون في أوروبا أمام مثل الأمة العربية المسلمة ، وقيمها
الخالدة ، - كذلك فشلهم في مواجهة الخلافة العثمانية الفتية وقد
بسطت سلطانها على أوروبا الشرقية كلها .

فالمواجهة العسكرية لم تحقق لهم شيئا في الماضي ، ولن يستطيع
أن تحقق لهم شيئا في المستقبل ، فلم يعد أمامهم إلا أن يحاربوهم في
مصدر قوتهم واعتزازهم ، وهو دينهم ؛ ومحاربتهم في دينهم

بأسلوب مباشر تستثير همهم ، وتوقد عزمهم وتشعل عواطفهم .
وتنبه غافلهم ، فاتجهوا إلى ضرهم في لسانهم ، وماهى إلا مجرد
أفكار علمية لإصلاح اللغة . التي تظاهروا بالاشفاق عليها ، تعرض
على الساحة العربية . ولهم من أذنانهم ، وحواريهم من يمسون
الزمام منهم ولن يعدموا بعض السذج الذين يستهويهم بريق
الإصلاح والتجديد فإذا نجحوا في هذا المخطط الرهيب !!! قطعوا
لسان الأمة ، ومزقوا وحدتها ، وحالوا بينها وبين تراثها ، واستعجم
عليها كتابها : مصدر هداها وكرامتها !!! وأمام هذه الخطوة التي
سأفصل مراحلها بعد أريد أن أقول إن هناك أصواتا منصفة حركها
شرف العلم أن تنبه هذه الأمة لما يبست لها ، وتحذرنا من إيقاع أوربا
في فكرها وفلسفتها ، صاحب هذا الصوت هو «أرنولد توينبي» .
المؤرخ الإنجليزي .

يقول بعد أن انتقد أوربا في تصديرها لنظرية القوميات للعالم
الإسلامي : وإننا لنأمل ألا نرى هذه الجرثومة تنتشر في العالم
الإسلامي على الأقل لأنه الوحدة السياسية والاجتماعية على مستوى
ونطاق عالمين ، هما ضرورتان لسلامته . وسلامة الانسانية اليوم في
الحقبة الذرية النووية .. ثم يقول مشيرا بقيمة الفصحى في وحدة
العالم الإسلامي : إن هناك بلادا إسلامية عربية اللغة . وإذا كانت
لغة التخاطب تختلف حسب المناطق فإن اللغة الفصحى واحدة من
شواطئ الخليج العربي ، ومن حلب والموصل شالاً ، حتى
الخرطوم ، وعدن ومسقط وزنجبار جنوباً ، جميع الكتب الصادرة
في القاهرة ودمشق وبيروت ، تقرأ في هذه المنطقة الشاسعة كلها .

وحتى خارجها ، لأن اللغة العربية هي اللغة الدينية لجميع البلدان الإسلامية ، حتى تلك التي تستخدمها في التخاطب ، فهل من الضروري أن يُجَزَّأ هذا العالم العربى إلى عشرين دولة مستقلة ، تعيش بعزلة تامة ، بعضها عن بعض ؟ وهل من الضرورى حقيقة أن نرى العالم العربى يتفكك ويتجزأ كما حصل مع الأسف للامبراطورية الإسبانية الأمريكية ؟ إن هذه التجزئة تعتبر من أخطر نقائص حضارتنا الغربية ، وسيكون مؤسفا حقا أن نرى الشعوب العربية تنسج على منوالنا فى هذه الناحية »

هذا هو توينبى بشرف العلم ، وأمانة الكلمة يحذر العرب من التورط من تقليد الحضارة الغربية ، وإثارة القوميات التى تفرق وحدتهم ، وتقطع ألسنتهم .

إننا نحس من خلال كلماته الإشفاق على أمة عظيمة ، وحضارة قديمة ، ووحدة راسخة ، ولسان مبين ذائع أن تنال منها عواصف الفكر الأوربى ، وأعاصير القوميات ، غير أن ملاحظة واحدة على هذه الكلمة المنصفة ، هي تعبير المؤرخ الكبير عن اللغة العربية بأنها لغة دينية .

وهذا التعبير غير مقبول منا ومن واقع لغتنا وتراثنا إن أريد به أنها لا تصلح إلا للتعبير عن بعض طقوس العبادات ، ومواعظ المناسبات ، كما هو الحال فى لغة الطقوس المسيحية لكن الرجل فى جملة ما قال كان أميناً فى تحذيره ، ويبقى بعد كشف المخطط التعرف على عدة أمور :

الخطوات المطروحة للتنفيذ :

- الدعوة الى العامة
- الدعوة الى ما يسمى باللغة الوسيطة
- تعبيرات خبيثة طرحوها عن طريق عملائهم على الساحة
- الدعوة الى الكتابة بالحرف اللاتيني
- الدعوة الى تجديد النحو والبلاغة
- تغريب الأدب

وسائلهم :

- استعانوا بمدارس التعليم الأجنبي المنبثة في مصر وأنحاء شتى من العالم العربى ، بجانب المراكز التبشيرية .
- الصحافة .
- الدعوة الى الاستغراب وربط مصر بثقافة اليونان وحوض البحر المتوسط .

الرجال الذين قاموا بالتنفيذ :

- ١ - المستعمرون أنفسهم .
 - ٢ - طائفة الأذئاب والعملاء .
 - ٣ - المقلدون المفتونون بظاهر مدنيّتهم .
- بقيت نقطة هامة نشير اليها قبل ان نلج ميدان هذه الحرب على اختلاف مواقعها ، وتعدد أسبابها ووسائلها . هى أن هذه الحرب كانت سجالا ، فكانت أعين المخلصين لهم بالمرصاد ، تقف في وجه المستعمرين ، وتطارد الأذئاب ، وتنبه المفتونين ليتوبوا الى

رشدهم ، وليفيقوا من سكر الفتنة التي غشيتهم ، ولتنجلي عن
بصائرهم سحائب الضلالة ، فيعرفوا اقدر الدين الحق ، وعظمة
اللسان المبين وقديما قال المتنبي :

ومن يك ذا فم مرّ مريض يجد مرّاً به الماء الزلالا
ومن بعده قال البوصيري :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
ومن هنا سأشير إلى اصداء المقاومة ، مع حديثي عن الحرب
الباغية وعمن أشعلوا نارها .

الفصل الثالث

المعركة بين العامية والفصحى

أيهجرتنى قومى ، عفا الله عنهم الى لغة لم تتصل برواة؟!
سرت لؤثة الافرنج فيها كما سرى لعب الأفاعى فى مسيل فرات
حافظ ابراهيم

الاستعمار كالحرباء

ان ظاهرة الاستعمار التي داهمت العالم العربى والاسلامى ليست الا ترجمة عملية لاحدى صور البغى الصليبي ، تظاهرها اطماع يسيل لعابها الى ثروة العرب والمسلمين ومقدراتهم ؛ والاستعمار كالحرباء يملك قدرة عجيبة على التشكل ، وقدرة كبيرة على التلاؤم مع البيئة ، وهو يلبس لكل حالة لبوسها ، وفي ميدان المواجهة مع القوى الوطنية المخلصه له وسائل عدة ، ويبيده اسلحة متنوعة ، وفي الميدان الصراع مع الفصحى تعددت اسلحته واختلفت انماط رجاله حتى ان منهم من كان يمقت الاستعمار لكن العتمة الفكرية التي اصابته تصوره من خلال معاشته لهم في بلادهم جعلته يتجه في بعض الامور لنصرتهم من حيث لا يدري ؛ ومن ذلك قضية الفصحى والعامية .

بداية هذه الدعوة

بدأت هذه الدعوة على يد شاب تعلم في الازهر ، ثم ذهب على رأس أول بعثة إلى فرنسا ليكون إماماً لها ، فتعلم الفرنسية وأتقنها . كان هذا الشاب كما تشهد كنبه وتاريخه وطنياً محباً لبلاده ، راغباً في الإصلاح ، ساعياً الى النهضة ، يملك الذكاء ، كما يملك حسن النية ، وسلامة الطوية ، ألف بعد عودته لمصر كتاباً سماه : أنوار توفيق الجليل في أخبار مصر وتوثيق إسماعيل عام ١٢٨٥هـ - ١٨٦٨ م ذكر فيه فضل العربية ، ووجوب إحيائها ولكنه ضمنه هذا الكلام الذى تحس معه بعجب ودهشة ، وتذكر تناقضه

الصارخ مع شرف القضية التي يدعو لها ، قال : « إن اللغة المتداولة في بلد من البلاد ، والمسماة بالدارجة ، التي يقع بها التفاهم في المعاملات السائرة ، لا مانع أن يكون لها قواعد ، قريبة المأخذ تضبطها ، وأصول على حسب الإمكان تربطها ، ليتعارفها أهل الإقليم ، حيث نفعها بالنسبة إليهم عميم ، وتصنف فيها كتب المنافع العمومية ، والمصالح البلدية »^(١)

رحم الله الشيخ رفاة الطهطاوى !! ما معنى تععيد اللغة الدارجة ؟ وما النفع العميم ؟ وماذا يراد بالتصنيف بها ؟ إنها لمأساة فعلا ؛ ويبدو أن هذا الرجل الوطنى - كما يقول الشيخ شاكر - كان فيه مع ذكائه غفلة ، واستغل أحد دهاء القوم في هذا الرجل حبه للإصلاح ، فأوحى إليه بما أوحى^(٢) لكن النتيجة التي تترتب على هذه الكلمات لم تكن شيئا مذكورا ، فقد أحسن الناس الظن بالرجل ، ومن حقهم هذا ، ولم يتوقفوا أمام كلماته ، إذ أنه لم يدر بخلداهم أنه يعنى النتيجة الخطيرة التي تترتب على الأخذ بكلماته وهذا صحيح ، ومن ناحية أخرى كان الواردات على صعيد الحياة المصرية والعربية لغير مصلحة هذه الدعوات ، إذ نشطت مطبعة بولاق بالقاهرة المحروسة ، كما كانت تسمى إذ ذاك في إخراج درر التراث للأمة العربية والإسلامية ، تعلن على الجميع ذخائر هذا اللسان وكنوزه ، واستمرت على هذا النهج ، فكانت عقبة كثودا في وجه الجهود التبشيرية ، والاستعمارية ، وجهود المصلين ،

(١) راجع كتاب رفاة الطهطاوى أنوار توفيق الجليل فما يختص بإصلاح اللغة .

(٢) راجع أباطيل وأسمار للشيخ محمود شاكر ص ١٦ .

والغافلين الذين تولوا كِبَرُ هذا الإثم فيما بعد ، وكانت النتيجة على غير ما يريدون أوت الى ضلاله ، وعاشت فترة في كنفه ورحابه وعندما كانوا يحاولون ابعادها عنه تثور ثائرة الأزهريين لتستردها لحوزته ؛ وأسوق هذا الخبر الظريف الذى نشرته مجلة المصور سنة ١٩٢٧ م .

أضرب الأزهر عندما وافق البرلمان على الغاء المرسوم الصادر سنة ١٩٢٥ م والذى ينص على ضم مدرسة القضاء الشرعى ودار العلوم ، ومدرسة المعلمين الأولية الى الأزهر . رفض الطلبة تلقى الدروس . وقاموا بالمظاهرات . وقد اتخذت العاصمة التدابير اللازمة لمنع انتشار الإضراب^(١) وصارت سندا للأزهر يقوم بالتدريس فيها فضلاء الشيوخ والعلماء ، منهم الشيخ حسين المرصفي صاحب الوسيلة الأدبية .

كما كان خريجوها سندا للفصحى وردءا لها ، كما ظهر فى هذه الأثناء الشاعر العظيم محمود سامى البارودى الذى رد الروح لشعر العربية ، وأسمع الناس فى أواخر القرن التاسع عشر لغة حية ، مؤثرة ، رأوا فيها سمعوا النابغة ، وعنترة ، والكميت ، وأبا تمام ، والمتنبى يكلمونهم فى أحداث عصرهم .

وعودة الشعر بهذه الصورة تضع صعوبات شتى على طريق المخطط الخبيث ، لكن عين البغى ساهرة لا تنام .

لقد ساء الأفاعى حركة الإحياء : بنشر التراث ، وقيام

(١) مجلة المصور - فبراير - ١٩٢٧ م .

دولة الشعر « ولهم سبيتا » كان يقبع في جدران دار الكتب المصرية الماني خبيث ، نزل مصر ، وتعرف على الأحياء الشعبية ، ولغاتها الدارجة ، ذلكم هو « ولهم سبيتا » خشي أن تستعيد اللغة العربية قوتها ، فألف كتابا سماه : قواعد اللغة العامية في مصر . كانت محاولة منه لتفعيد العامية ، لكن مقدمته كشفت سوء نيته ، وخبث طويته ، يقول في مقدمته : وأخيرا سأجازف بالتصريح عن الأمل الذي راودنى على الدوام طول مدة جمع الكتاب ، وهذا أمل يتعلق بمصر نفسها ، وحس امرا هو بالنسبة لها والى شعبها يكاد يكون مسألة حياة أو موت ، فكل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف الى اى حد كبير تتأثر كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف الواسع بين لغة الحديث ، ولغة الكتاب .

ثم يواصل حديثه فيقول : وطريقة الكتابة العقيمة بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع اكبر قسط من اللوم في كل هذا ، ومع هذا فلم يكن الأمر سهلا لو أتيح للطالب أن يكتب بلغة إن لم تكن هي لغة الحديث الشائعة فهي على كل حال ليست العربية الكلاسيكية القديمة بدلا من أن يجبر على الكتابة بلغة هي من الغرابة بالنسبة إلى الجيل الحالى من المصريين مثل غرابة اللاتينية بالنسبة للإيطاليين . وبالتزام الكتابة الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقى ، ويتطور» ^(١)

هذه كلمات المصلح العبقري « ولهم سبيتا » في مقدمة كتابه

(١) راجع تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر د . نفوسة زكريا . وراجع أباطيل وأسمار ص ١٦٢ .

تأمل معي واعجب ، إنه مَعْنَى "بأمر اللغة في مصر ، ويملك أملا كبيرا يراوده
ثم يحاول أن يحل مشكلة اللغة التي هي قضية حياة أو موت
بالنسبة لمصر .

لقد أدرك وحده بعقريته أمرا غفل عنه أبناء اللغة المتمرسون
بها ، وهو البعد الشاسع بين لغة الحديث ولغة الكتابة !! ما نواحي
النشاط التي تأثرت يا مستر « سبيتا » ؟ وانظر إلى وصفة الكتابة
العربية بأنها عقيمة وإطلاقة على اللغة الفصحى وصف
« الكلاسيكية » كأنها والكتاب الحق الذي كتب بها صورة من
الماضي العتيق لا بد من تجديده !! وهذه الموازنة الظالمة ، والمشابهة
الباغية التي عقدها بين اللاتينية والعربية .

لقد أوغل الرجل في الوهم ، واشتط في تصوراته الفاسدة ،
وأقحم نفسه في أمر لغة لا يحسن خصائصها ، ولا سبيل له لإدراك
محاسنها ، إنه يحرص على أن يتطور الأدب وبصفعة الواقع بنهضة
أدبية في ميدان الفصحى ، ويتوالى أعلام الشعراء والكتاب ،
والعامة من الناس يحفظون ، ويرددون ما يقولون ويتحول الشعر
الفصيح الى أغاني حماسية ، وأهازيج وطنية في ميادين المقاومة .

حركة المقتطف عام ١٩٨١ م

قامت حركة المقتطف في بيروت أول الأمر تردد ما قاله « سبيتا »
في القاهرة وللمقتطف والمعظم ، وأصحابها فيما بعد دور بارز في
تمجيد الاستعمار ، ومناداة الحركة الوطنية ، وأسرفوا في هذا

حتى دعوا لما يسمى بالحزب الوطني الحر ، وتهجموا على مصطفى كامل ^(١) وكانت حركة المقتطف بالغة السوء ، لأنها خدعت الناس بأوهام استعمارية زائفة ، ومن ناحية أخرى فإن دعوتهم صدرت عن عرنى يملك عروبة اللسان ، لكن الأمر ، كما قال المتنبي :

عرنى لسانه ، أعجمى رأيه فارسية أعياده

ومجىء حركة المقتطف بعد كتاب « سبيتا » بعام واحد ، وفي وقت يتأهب فيه الاستعمار الإنجليزي للانقضاض على مصر ، قلب العروبة ، وموئل الأزهر لم يكن مجرد مصادفة ، وإنما يقول الشيخ محمود شاكر : لست أجد هذا اتفاقا عجيبا من ألماني ، اعجمى اللسان ، مقيم في دار الكتب المصرية ، وعرنى اللسان مقيم في بيروت ، حيث اكبر مؤسسة تبشيرية أنشئت سنة ١٨٦٥ م بأموال الإنجليز الأمريكيين ، وتخرج هو على أساطين التبشير فيها ، وهي « الكلية السورية الإنجيلية » ، المعروفة اليوم باسم الجامعة الأمريكية .

معنى هذا أن الأمر صدر من جماعات التبشير ، ليبدأ « سبيتا » في القاهرة ، والمقتطف في بيروت ؛ لكن ما كاد يخرج المقتطف على الناس في بيروت بهذا الضلال في عدد تشرين الثاني سنة ١٨٨١ م حتى سارع بالرد عليه رجل غيور ، وهو الشيخ خليل اليازجي (لبناني نصراني) فكتب في العدد التالي من المقتطف الصادر في كانون الأول سنة ١٨٨١ م مشير الى نقطتين :

(١) راجع المقطم عدد ٢٥ من يونيو سنة ١٩٠٧ ، والاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث ص ٩٠ وما بعدها .

أولاهما : أن اتخاذ العامة للكتابة ، فيه هدم بنائية التصاريف العربية من أساسها وإضاعة كثير من جهود المتقدمين ، ثم تكلف مثلها في المستقبل .

والأخرى : هي أن عامة الناس وجهها لهم ، يفهمون العربية الصحيحة الفصيحة ، ويتذوقونها على عكس ما يدعيه خصوم العربية .

وهناك ملاحظة على المقتطف يرجع الفضل في إدراكها للشيخ محمود شاكر في كتابه « أباطيل وأسار » ، وهي جديرة بالاهتمام ، وتتطلب مزيدا من الوعي بمخطط القوم ، وأن وراء هذه الدعوات جهودا تبشيرية مكثفة ، تتحرك بدهاء ، وتغزو قلاع هذه الأمة بحسن تأت وتلطف ، موجز هذه الملاحظة : أن المجلد السادس من المقتطف ، الصادر عام ١٨٨١ م ، ابتداء من حزيران (يونيو) سنة ١٨٨١ م حتى نيسان (إبريل) سنة ١٨٨٢ م طبع من كل عدد طبعتان : طبعة فيها مقالات الدعوة إلى العامة ، والردود عليها ، وهي طبعة مطولة تقع في نحو ٧٦٠ صفحة ، وطبعة مختصرة في نحو ٣٢٨ صفحة عارية من هذه المقالات تماما ، وتفسير هذا الامر بلا ريب عند أصحاب المقتطف ، وإن كان ما وراءه غير بعيد عن الأفهام ، لكنه الختل والخذاع .

لكن الذي نسجله هنا أن أصدقاء هذه الدعوة لم تستمر طويلا ، إذ شغل القوم عن حركة المقتطف بالداهية الدهياء وهي وقوع مصر في براثن الاستعمار الانجليزي بعد هزيمة عرابي ، واستيلاؤهم على مرفق التعليم ، وضمه الى وزارة الاشغال العامة ثم

ظهرت حلقة أخرى في المخطط .

إذ لم ينته الأمر عند حركة المقتطف ، بل أتيحت - في ظلال الاستعمار الإنجليزي - للمبشرين وأعداء الفصحى فرصة أوسع وأكبر .

كان في مصر الماني آخر يدين بالولاء للإنجليز اسمه « كارل فولرس » ألف كتابا سماه : « اللهجة العامية الحديثة في مصر سنة ١٨٩٠ م ، ثم ترجم الى الإنجليزية سنة ١٨٩٥ ، وفي هذا الكتاب ردد هذا الرجل الأفكار التي رددتها « سبيتا » من وصف العربية بالجمود والصعوبة ، وتشبيهها باللاتينية ، كما شبه العامية بالابطالية ؛ ثم جاء الداهية وليم ويلكوكس ^(١) وويلكوكس مهندس انجليزي ، مبشرا أو منصر بتعبير أدق .

ألقى محاضرة ، نشر مضمونها في مجلة كانت تسمى الأزهر سنة ١٨٩٣ م ^(٢) ، وكان أمر المجلة قد آل إليه ، لبس في محاضرتة ثوب المصلح ، الوفي لمصر ، الحفيّ بلغة العرب الراغب في نهضة علمية واسعة لهذه الأمة ، ومن هذا المنطلق الكاذب نفث سمومه .

(١) تاريخ الدعوة إلى العامية ، وأباطيل وأسحار ص ١٦٥ .

(٢) هذه المجلة انشئت عام ١٨٧٧ الموافق ذى القعدة سنة ١٣٠٤ هـ باسم (الصحة) أنشأها حسن بك رفقى ، المفتش بمصالح الصحة العمومية ، وإبراهيم بك مصطفى المدرس بالمدرسة الطبية ، ومهمتها معالجة بعض الأمور الطبية ، وفي افتتاحية العدد الأول من السنة الثالثة أعلن المؤسسان خبر تغيير اسمها إلى الأزهر لما له باع طويل . وتاريخ مديد مجيد في خدمة المعرفة كان ذلك في أغسطس ١٨٨٩ وفي عدد ديسمبر ١٨٩٢ أعلن المؤسسان نقل امتيازها إلى وليم ويلكوكس الذي استغلها لحرب الفصحى . ونشر فيها محاضرتة المشار إليها . ومن هنا يتبين براءة الأزهر الشريف . وأن اسم الأزهر استغل فقط .

زعم فى محاضرتة أن الذى عاق المصرين عن الاختراع هو كتابتهم الفصحى ودعا الى التأليف بالعامية ، وقال للناس : وما اوقفنى هذا الموقف إلا حىى لخدمة الإنسانية ، ورغبتى فى انتشار المعارف ، وما أجده فى نفسى من الميل اليكم ، الدال على ميلكم لى ، وبهذا الكلام المعسول أراد هذا الخبيث أن يقنع الناس بما يقول ، ثم يمضى ممعنا فى وقاحته ، فيقدم هذا الاعلان : من قدم لنا هذه الخطبة باللغة الدارجة المصرية ، وكانت موافقة جدا يكافأ بإعطائه أربعة جنيهات أفرنكية وإن كثر المتقدمون يعطى هذا المبلغ لمن يحوز الأولوية .

عجيب سخف هذا الرجل ومغالطته المفضوحة إذ كان هو - وهو الأعجمى - استطاع أن يخاطب القوم بالفصحى ، ويسرله ذلك ، فكيف يستكثر عليهم أن يفهموها وهى لغتهم ؟!! وما باله يضلل ، فيتهمها بالصعوبة والجمود ؟! وما المعارف التى تنقص هذه الأمة التى تلمذت بلاده ، وأوربا كلها على تراثها ؟! إن كانت المعارف قد تأخرت بعض الوقت على أرض هذه الأمة ، وقعدوا دون الغاية التى اقتحمها أجدادهم فالمستول عن هذا وجود هذا المبشر ، وقومه على هذا التراب الطيب ، لكنه التضليل الذى وجد سوقا رائجة بعد أن ضعفت معنويات الأمة الى حد ما بعد الاحتلال الباغى ، وهزيمة القوى الوطنية وتشريدھا ، وبرغم هذا استمرت المقاومة ، وتصدى الغيّر من أبناء الأمة لهذا الضلال فظهر على الساحة عدد من الشعراء الكبار ، يؤكدون بطريق غير مباشرة عظمة هذا اللسان العبقري ، كما سارت حركة إحياء التراث عن

طريق مطبعة بولاق ، والمطابع الأخرى تقدم للناس كل مجيد وعريق من التراث ، وأخذ الشيخ محمد عبده وغيره من الأعلام يدعون لإصلاح لغة الجرائد ، وأنشأ مدارس الجمعية الخيرية الإسلامية لتحمل نشء الأمة ، وشبابها من السقوط فى المناهج التى وضعها الانجليز للمدارس الحكومية ، وفزعت أجهزة التبشير مرة أخرى . لقد صرخ ويلككس فى واد ، ونفخ فى رماد ، وذهبت دعوته سدى وجاء « سلدن ولمور » وهو قاض إنجليزى فى المحاكم المصرية ، وجد أن دوره على منصة القضاء لا يحقق أهداف قومه ، كما ينبغى ، فجاء ليؤدى دوره فى الحرب على الفصحى ، وليحكم عليها بالإعدام !!! فقدم دعوته للعامة فى إطار جديد ، وبوجه جديد ؛ ألف سنة ١٩٠١م كتابا سماه « العربية المحلية فى مصر » دعا فيه إلى اتخاذ العامة لغة أدبية ، وحذرنا إذا لم نفعل ذلك « فإن لغة الحديث ولغة الأدب ستقرضان ، وستحل محلها لغة أجنبية ، نتيجة لزيادة الاتصال بالأمم الأوروبية » ، ثم دعا الناس الى اعتبار العامة هى اللغة الوحيدة ، وذكر لهم أنها الأقرب إلى اللغات السامية منها إلى لغة القرآن والأدب ، وطالب الصحافة بأن تخطو الخطوة الأولى فى هذا المضمار .

والذى يثير الدهشة والعجب معا أن المقتطف سنة ١٩٠١ وقد انتقل إلى مصر كان أول من سارع إلى تقرىظ الكتاب والثناء عليه ، والإشادة بالفكرة بل إن عبارته كشفت اللثام عن نواياه السيئة ؛ إذ قال فيما قال : وكثيرا ما قلنا للأوربيين والأمريكيين الذين ذكرونا

فى هذا الموضوع : إنه لو اهتم محمد على باشا ، جد العائلة الخديوية بكتابة اللغة المحلية لمصر والشام ، وجعل الكتابة بها وحدها ، لما وجد فى ذلك كبير مشقة .

هكذا يأس أصحاب المقتطف على الفرصة الضائعة ؛ وأن محمد على لو وضع فى اهتمامه هذا الأمر لأنجزه بكل قوة دون أن يخش أحدا ، لا سيما وأن العربية ليست لسانه الأصلى . وفات هؤلاء الحاقدين أن محمد على برغم عجمته لم يكن ليفعل هذا ، فله من دينه ما يمنعه ، وقومه الترك إذ ذاك يكتبون لغتهم بالحرف العربى ، ثم ينتهى أصحاب المقتطف إلى التحريض على قطع لسان هذه الأمة مبينين لمن يهمهم الأمر من سادتهم أن هذا الهدف لن يتم « إلا إذا تسلطت على البلاد قوة قاهرة ، عضدت الساعين فى ضبط اللغة المحلية وكتابتها »^(١) .

هذا هو المقتطف وأصحابه يذاكرون الأوربيين ، ويستعدونهم على لسان أمتهم ومن هنا يستبين لنا أن قضية اللسان العربى قضية إسلامية ، كما أنها قضية تراث يراد لا يتفجع به أهله وكفى .

واشتدت المقاومة :

فى هذه الآونة كانت الحركة الوطنية على أشدها تحارب المستعمر فى كل اتجاه بدأت الدعوة إلى انشاء الجامعة المصرية . كما كانت هناك دعوة قائمة لدعم التعليم الأهلى وإصلاح اللغة .

(١) راجع أعداد المقتطف أواخر عام ١٩٠١ بعد انتقاله لمصر . وراجع تاريخ الدعوة إلى العامية .

وخرج حافظ إبراهيم على الساحة الأدبية ، وقد تأجج وجدانه
بما سمع من ضلالات القوم بقصيدته الرائعة التي يتحدث فيها على
لسان اللغة العربية ، تنعى فيها حظها بين أهلها ، وهى من فرائده
الحوالد ، التي لا زلنا نحس بحجة معناها وحيوية فكرتها ، تحدث
عن مزايا هذا اللسان فقال :

أنا البحر فى أحشائه الدر كامنٌ فهل سألوا الغواص عن صدفانى
وسعت كتاب الله لفظاً وغايةً وما ضقت عن آى به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آله وتنسيق أسماٍ لمخترعات ؟
ثم يشير الى مؤامرة المبشرين والمستعمرين وأذنانهم ، فيقول على
لسان لغته :

أيطربكم من جانب الغرب ناعبٌ ينادى بوادى فى ربيع حبانى ؟
ولو تزعجون الطير يوما علمتمو بما تحته من عثرة وشتات
ثم تعاتب اللغة أبناءها فتقول :

أبهجرنى قومي - عفا الله عنهم - إلى لغة لم تتصل برواة ؟!
سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى لعباب الأفاعى فى مسيل فرات
فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات
والشاعر هنا يعنى اللغة العامية ودعاتها ، وعلى لسان اللغة ينتقد
الصحافة فيقول :

أرى كل يوم فى الجرائد مزلقا من القبر يديننى بغير أناة
وأسمع للكتاب فى مصر ضجة فأعلم أن الصائحين نعاى
ثم تذكر التاريخ المجيد فتقول :

جزى الله في يطن الجزيرة أعظما يعز عليها أن تلين قناتي
حفظن ودادى في البلى وحفظته لهن بدمع ، دائم الحسرات
ثم تصدر قرارها الى بينها فتقول :

الى معشر الكتاب والجمع حافل بسطت رجائى بعد بسط شكائى
فإما حياة تبعث الميت فى البلى وتنبت من تلك الرموس رفاق
وإما ممات لا قيامة بعده ممات لعمرى لم يقس بمات

يعقوب صنوع وابو نضارة

لا أريد أن أترك هذه الفترة دون أن أشير الى موقفين متناقضين
فى هذه القضية :

أولها : موقف يعقوب صنوع .

والآخر : موقف الهلال وجورجى زيدان .

أما أولها فهو يهودى مصرى ولد سنة ١٨٣٩ ، ومات فى باريس
سنة ١٩١٢ . أصدر الرجل صحيفته « ابو نضارة » سنة ١٢٩٥هـ
وكانت بالعربية الفصحى ثم أغلقها الخديوى اسماعيل ، لما فيها من
نقد مرّ لاذع ، فعادت للصدور فى باريس يوم الجمعة ٢١ من
مارس سنة ١٨٧٩م باللغة العامية .

وهذا كان يعقوب صنوع - وليس هذا غربا - أول صحفي
استجاب للدعوة الضالة ، وأسهم فيها بمحاولة تحويل دعوات
المبشرين إلى واقع وتطبيق ، وكان تظاهره بمناصرة الحركات
الوطنية ، والسخرية بالحكام وسيلة لذر الرماد فى العيون وصرف
الأنظار عما يريد من إفك كبير .

قال فى افتتاحية العدد الصادر فى ١٧ يوليو سنة ١٨٨٠ -

بالعامية المصرية : «ولما بلغنى بأن صدر أمر من ناظر الخارجية بقفش وكسر الصفارة الساعية فى استحصال التمدن والحرية ، يارب نور عقلى وفهمى ، وانصرنى على الواد مصطفى فهمى الى أمر بتعطيل صفارتى البهية ، فتأسفوا أبناء مصر أجمعين ، وظنوا أن علينا انتصر الظالمين ، فشر والله العظيم » إلى آخر هذا السخف المتكلف الذى يثير الاشتزاز ، وأؤكد أنه لو قرأ عوام مصر هذا الكلام لن يستسيغوه ، ولن يفهموه ، لكنه التضييل .

ثم يكتب فى العدد الصادر فى ٢٦ من مارس سنة ١٩٨٢م الافتتاحية بالعامية الشامية ، يقول : شو هل حكى ياخيو ، ده مو كلام محرر بصير ، فرنجى جنابك ، حاشا ، بقى شو هل ذم فى الأمير الخ ^(١) .

مجلة الهلال

أما مجلة الهلال ، فكان موقفها يختلف تماما ، وكانت على غير المتوقع منها ؛ هى لم تشهد الجولة الأولى من هذا الصراع فى أواخر القرن التاسع عشر ، لأنها لم تكن أنشئت بعد ، لكنها وقفت عند انشائها ضد دعاة العامية .

والغرب الذى يحتاج إلى تفسير هو أن هواها فرنسى تبشيري ، صليبي ، هكذا كانت ، ولهذا أنشئت ، لكن هكذا وقفت !!! وسأشير بإيجاز إلى أبعاد هذا الموقف ، وإن كانت أفسحت فيما

(١) تحقيق فى صحيفة الشرق الأوسط . العدد الصادر فى ١٦/١١/١٩٨٣ تحت عنوان : « دعاة العامية الذين يطالبون بالتخلي عن الفصحى » .

بعد صدرها للأذنان أمثال « سلامة موسى » ، قدمت في مطلع القرن العشرين ، وبالتحديد سنة ١٩٠٢ استفتاء مع عدد من المستشرقين والأدباء العرب ، وجاء في الاستفتاء هذا السؤال : ما مستقبل اللغة العربية في نظركم ؟ وهل تتغلب على اللهجات العامية المختلفة وتوحيدها ؟ ، وجاءت الإجابات على النحو التالي :

المستشرق الإيطالي د. غويدى

دعا إلى أن « تكون لغة كتابية سهلة يفهمها الجمهور العربى ، وتكون مستقلة عن اللهجات العامية المختلفة ، أما الإنشاء الخيالى المفخم ، وأساليب البديع فيجب أن تخصص للكتب ذات الصبغة الأدبية »

ورأى هذا المستشرق - كما نرى - يدعو إلى مزيد من الخلط والاضطراب ؟ إذ يترتب عليه أن يكون على الساحة العربية ثلاث لغات : لغة أدبية - لغة سهلة للجمهور - لغة عامية .

المستشرق الأمريكى : ريتشارد لوتهيل

يعتبر أن « اللغة واحدة والخط واحد » برغم اختلاف اللهجات ، ويؤكد أن « العربية من هذا القبيل أشبه بالانكليزية التى اجتازت البحار ، وقطعت القارات ، وغدت أساسا لمدينة جامعة » ثم يقول : « ومن الغبن والعبث أن يحاول أحد - كما حاول بعضهم فى الماضى القريب - أن يقنع الأقوام الناطقة بالضاد بأن تستعيز عن خطها بالخط الاوربى فإن حرفا تكتب به العربية ، والفارسية ، والتركية ، والأوردية وغيرها لجدير استعماله بالشعوب الناطقة

بالضاد » .

إنها كلمة منصفة حقاً من عالم عرف قدر هذا اللسان ،
والحرف الذى كتب به وأكبر الظن أن الأذئاب من أبناء هذا
اللسان الذين ساروا فى موكب التضليل بهتوا عندما سمعوا كلمة الحق
من سواهم فى لسانهم الذى جهلوا قدره .

الشاعر خليل مطران

يرى أن اللغات العامية ستبقى مابقي اختلاف الزمان والمكان ،
ومادامت لا تتوحد الدولة العربية فلن تتوحد اللغة العربية مجتمعة فى
الفصحى أو المبتدلة » ثم يستدرك قائلاً : « ولكن هذا الاختلاف
عينه هو الذى كان وسيكون أكبر عون وسبب للعناية باللغة
الفصحى ، وتعميمها بين طبقات المتعلمين فى كل الأمم لتجعل
وسيلة التعارف ، ولا ننسى أن الاستمرار فى تعليم اللغة الفصحى ،
وتعليمها ، والاهتمام بتسهيلها ، وتقريبها ، وتعميمها هو أنها لغة
القرآن الشريف »

محمد كرد على

يبدى هذا التصور فى شأن مستقبل الفصحى فيعتقد أنه « لن
يمضى قرن أو قرنان حتى تتوحد اللهجات العامية ، لأن الفصحى
آخذة فى التغلب عليها » .

جبر صنومط استاذ اللغة العربية بالجامعة الامريكية فى بيروت
قال : « فى كل اللغات الراقية لهجات عامية مختلفة ، ولكن
اللغة الفصحى لغة المعلمين ، والمتعلمين ، وهى لغة المدارس ،

والجرائد ، والكتب ، وإذا بقي الاسلام وسبق ، فلغة القرآن والحديث وسائر الآداب العربية منذ عصر الرسالة الى اليوم أقوى من سائر اللغات الأوربية على هضم اللهجات العامية المختلفة ، ولذلك ستبقى هذه اللغة الشريفة ، كما كانت لغة العلم ؟ والمتعلمين ، والأدباء والمتأدبين ، ولغة الصحافة والمؤلفين إلى ما شاء الله » ، وتلك كلمة طيبة لا تحتاج الى تعليق .

نقولاً حداد ، صاحب مجلة « السيدات والرجال » وصاحب كتاب « علم الاجتماع »

يقول : متى صارت العربية لغة التعليم ، وعم التعليم الأهل الأمة كلها تغلبت اللغة الفصحى على اللهجة العامية بحكم الطبع ، ترى الشاهد على ذلك الآن في كلام المتعلمين والطلبة ، فإن كلامهم يبتعد عن العامي ، ويقرب من الفصحى .

أنطون الجميل ، رئيس تحرير الأهرام

يقول : أما اللهجات العامية ، فلا نعتقد باضمحلالها ، وتغلب الفصحى عليها ، غير أن نشر اللغة الفصحى ، ونشر التعليم بين هذه الأقوام مما يعمل على ازالة الكثير من هذه الفوارق ، فالطبقة الراقية في مضر مثلاً أصبحت تتكلم بلا تكلف ، ولا تصنع لغة مضبوطة تكاد تكتب ^(١)

هذه آراء بعض المستشرقين ، والأدباء ، والصحفيين ، تقرب

(١) الشرق الأوسط بتاريخ ٢٢/١١/١٩٨٣ م .

من الحق ، أو تبتعد عنه قليلا لكنها تكاد تجمع على ضرورة الفصحى ، ولذلك سطرت المجلة هذه النتائج الهامة للاستفتاء :
١ - إن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى لمطالعة القرآن والحديث ، وسائر كتب الدين .

٢ - إن العربية ليست غريبة على أفهام العامة الا اذا أريد التعقيد ، واستخدام الالفاظ الغريبة ، أما لغة الانشاء العصرية ، فهي شائعة في الصحف والمجلات ، يفهمها العام والخاص .

٣ - إنه لا يجوز قياس العربية على اللاتينية ، لأن الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيرا من الفرق بين الفصحى والعامية .

٤ - إن الزعم بأن اللغة العربية بدع في اللغات بامتياز اللغة المكتوبة فيها عن اللغة المحلية زعم باطل ، فالإنجليز مثلا يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم ، وكذلك الفرنسيون ، والألمان ، وغيرهم من شعوب أوروبا .

٥ - إن الداهيين إلى أن تتخذ كل أمة عربية لهجتها العامية ، هم القائلون بانحلال العالم العربى وتشئت شمل الناطقين بالعربية . هذه هي نتائج الاستفتاءات كما استخلصتها مجلة الهلال « مطلع هذا القرن وهي كما نرى ايجابية لصالح الفصحى ، كما نرى فيها دحضا لكل شبهة آثارا أنصار العامية ، فهل ظلت الهلال على هذا النهج ؟! هذا أمر سنعرفه بعد » .

لطفى السيد ، ومرحلة أخرى في الدعوة إلى العامية
ولد لطفى السيد سنة ١٨٧٢ ، وتوفى سنة ١٩٦٢ ، ونال

شهادة الحقوق سنة ١٨٩٤ ، وتولى رئاسة تحرير « الجريدة » التي كان يملك امتيازها مع عدد من رجال السياسة .^(١) كان معروفا بمرى الجليل ، والمعلم الثالث ، وله اهتمامات بفلسفة أرسطو ، وصاحب شعار « مصر للمصريين » .

موقفه من هذه القضية عجيب ومتناقض ، ولعل الدارس لهذا الرجل ، وتاريخه الحافل يفسر لنا تناقضه في قضية الدعوة إلى العامة . ومظهر تناقضه فيما يأتي :

كتب في « الجريدة » بتاريخ ٢١ من أغسطس سنة ١٩٠٩ تحت عنوان « في إنكلترا أيضا » يذكر فيه مارآه من تمجيدهم لشاعرهم شكسبير ، قال : « على ذكر الشاعر شكسبير ترد على خاطري أني سمعت أنه استعمل من اللغة الإنجليزية عشرين ألف كلمة ، وأن في بعض أساليبه خفاء على كثير من العامة ، ولكني لا أصدق أن أحدا سمع أنه رمى بالتقعر بحجة أنه لم يقتصر في كتاباته على مئات الكلمات التي تكفي للتعبير عن المقاصد في اللغة الإنجليزية » ثم يضرب المثل بما استعمله أبو العلاء المعري من غريب اللغة ، ثم يقول : « وإنه على ذلك يستحيل على رجل يذوق طعم الكلام أن يرمى أبا العلاء بالتقعر » ثم يقول : « فما بالنا في بلد نجد كل يوم لهذه الكلمة رنيناً خبيثاً في الآذان ، بل نراها على سوء استعمالها ، وقبح مدلولها ، تسيل بسهولة على كثير من اللسان كلما صادف بعضهم في الكتب ، أو على الجرائد كلمة يظنها غريبة ، وماهى بالغبية إلا

(١) هم محمد محمود ، وعمر سلطان ، وأحمد حجازي ، ومحمود عبد الغفار . وهم من أعلام السياسة المصرية حينذاك .

عنده » ... ثم يقول : « إذا كان شكسبير كما سمعت قد استعمل
عشرين ألف كلمة ، مع أن راسين على غناه لم يستعمل إلا أقل من
أربعة آلاف كلمة ، فأولى بالعربى ألا يحد لغته الفسيحة بحدود ما
يسمع منها فى ميدان باب الخلق ، أو سوق الخضار ^(١) إن لم يكن
التوسع فى الألفاظ للمعانى ، ولا لمنفعة الأدب ، ولا لخدمة اللغة ،
فليكن على الأقل لخدمة القرآن الذى بات الكافة لا يفهمون معنى
ألفاظه ، ومن واجهم أن يفهموه ، فإنه إنما يتلى ليفهم ، لا يعلم إلا
الله متى نرى شوقى وحافظ بالعين التى يرى بها الإنكليز شعراءهم ،
بل متى نحب وطننا ، ولغتنا وآدابنا ؟ ومتى يكون للحق سلطان على
نفوسنا ؟ حتى لا نتخذ الجد لعبا ، ولنتعلم حسن الظن ، وصديق
الانتقاء » ^(٢)

بهذه الحماسة البالغة يدافع عن الفصحى ، ويستثير الهمم
لتمجيدها ، والحفاظ عليها ، وتكريم شعرائها ، ولا آخذ عليه فى
تلك الكلمة الطيبة التى تحمل دفاعا صادقا عن لغة الكتاب العزيز
إلا عبارة « الذى بات الكافة لا يفهمون معنى الألفاظ » أرى فيها
نوعا من التسميح ، أو التجاوز ، وهو معروف فى الأساليب
الصحفية ، إذ أنى لا أتصور أن الأمة فى هذا العصر الذى فيه شوقى
وحافظ وغيرهما وصلت إلى درجة عدم الفهم للقرآن بصورة شاملة
لكننا نرى مرئى الجيل بعد أربع سنوات تقريبا يكتب فى صحيفة
« الجريدة » نفسها أربع مقالات خلال شهرى إبريل ومايو سنة

(١) أماكن شعبية فى القاهرة .

(٢) الجريدة - العدد الصادر فى ١٩٠٩/٨/٢١ .

١٩١٣م تتنافى تماما مع ما كتبه منذ أربع سنوات ، بل إنه ردد ما قاله المبشرون الأربعة قبله « سبيتا - فولرس - ويلككس - ولور » وكان بهذا أول عررى يقلد القوم ، ويجترئ على ترديد مقالتهم الضالة ، من غير أن يكون ذنبا للاستعمار ، ولا عميلا له .

بدأ حديثه فى المقالات السبع بالكلام عن غنى العربية وتراثها فيما يتصل بالمعانى ، والمسميات القديمة ، وفقرها فى المعانى الجديدة والمصطلحات العلمية ، وهى الفكرة التى رد عليها حافظ إبراهيم فى قصيدته السابقة ، ثم طالب بما يأتى :

على الكتاب أن يتسامحوا فى قبول المسميات الأجنبية ، ويدخلوها فى كتابهم ، كما أدخلها الجمهور فى المخاطبة ، ثم اعترف بأن هذا قد يخلق الفوضى ، لكنه استدرك قائلا : إنها فوضى نافعة ، ولا خطر على اللغة منها ما دامت ستخرجها من جمهورها إلى التطور الراقى الذى يوافق أطماع الأمة .

طالب بأن يحتضن الكتاب المفردات العربية الموجودة فى اللغة العامية ، فيردوا ما تشوه منها إلى أصله العربى ، ويستعملوه صحيحا ، ومالم يشوه يستعمل على حاله ، ويستثنى من ذلك ما ابتدل من الألفاظ .

إلى هذا الحد نرى عددا من المقترحات لإصلاح اللغة ، وتطويرها ، وإخراجها من جمهورها - كما تصور - باتباع عدد من الوسائل المتكلفة التى لا تثبت عند التطبيق ، مع حرص على اللغة فى حد ذاتها ، ورفض المبتدل من العامية .

هى إذن عملية ترقيع لغوى ، شأن من يملك ثوبا سليما يؤدى

مهمته في حماية الجسم على احسن وجه فيعدل عنه إلى ثوب مرقع ، وهو التعبير نفسه الذى استخدمه حافظ ابراهيم في قصيدته قبل أن يقول السيد اقتراحاته ببضع سنين :

فجاءت كثوب ضم سبعين رقعة مشكلة الألوان مختلفات لكن الذى يملأ النفس دهشة وعجبا أن ينتهى مرى الجليل فى مقالاته الى هذا الكلام العجيب : وأقرب الطرق إلى هذا الصلح (يعنى بين العامة والفصحى) أن نذرع إلى إحياء العربية باستعمال العامة ، ومتى استعلمناها فى الكتابة اضطررنا إلى تخليصها من الضعف ، وجعلنا العامة يتابعون الكتاب فى كتاباتهم ، والخطباء فى خطاباتهم ، والممثلين فى رواياتهم .

وهكذا ينتهى الرجل إلى نتيجة غريبة تتناقض تماما مع الحق الذى صدع به من سنوات كما تتناقض مع مكانته فى العلم والأدب والفلسفة ، وتتناقض مع المنطق الذى حمل لواءه ، فطريق النهضة والرقى أن تنهض بمن هو دون ، لا أن تهبط بمن هو أعلى وقد قيل للرافعى : أنزل بأسلوبك إلى مستوى القراء فقال : ولم لا يرتفع القراء إلى مستوى ما أكتب ؟! وقيل لأبى تمام : لم لا تقول ما يفهم ؟ فقال : ولم لا تفهم ما يقال ؟ فإذا نزلنا إلى حضيض العامة حكمنا بالاعدام على تراث مجيد وعريق ، وتكون العودة الى الفصحى بعد هذا التردى أمر بعيد المنال .

ليت شعرى ماذا حدث لمرى الجليل ؟ أمقالته تلك نتيجة الشعار الذى رفعه إذ ذاك بالدعوة إلى المصرية ، فوجهه ذلك بالتالى الى الاعراض عن الفصحى والدعوة الى العامة ؟! أم أنها العتمة

الفكرية التي تلقى سحائب على بعض العقول نتيجة الاعجاب بالغرب وفلسفته وتفكيره ، ومعايشة ذلك زمنا حتى تهترأمامه القيم العظيمة لأمته !!!

على كل حال لست من الذين يسرفون في الظن ، وببالغون في التشكيك ، ويسارعون إلى هدم القمم في الفكر والأدب واللغة ، ولكنه مجرد موقف نشبته للتاريخ . والباطل باطل أيا كان الإنسان الذي يحمله ، وتعجبنى هذه الكلمات التي قالها الرافعي في صدر كتابه « تحت راية القرآن » .. قال : والفكرة لا تسمى بأسماء الناس ، وقد تكون لألف سنة خلت ، ثم تعود بعد ألف سنة تأتي ، فما توصف من بعد إلا كما وصفت من قبل ، مادام موقعها في النفس لم يتغير ، ولا نظنه سيأتي يوم يذكر فيه إبليس ، فيقال : (رضى الله عنه)

وليم ويلككس مرة أخرى :

ويعاود ويلككس المهندس الإنجليزي المبشر دعوته الضالة مرة أخرى .

والعجيب في سياسة هؤلاء الناس أنهم يتحينون ظروفًا خاصة تعيشها الأمة تكون فيها درجة مناعتها ضد السموم الوافدة قليلة ، فيلقون في روعهم بما يريدون متهزين فرصة الهبوط المعنوي ، ويقدمون دعوتهم في ثياب متنوعة ، وعلى ألسنة متعددة .

ظهرت هذه الدعوة مع الثورة العرابية ومع الحرب الأولى وثورة سنة ١٩١٩م ومع ثورة الانجليز لمقتل السردار ومع الحرب

العالمية الثانية ومع العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م وأخيرا مع نكسة عام ١٩٦٧م

لقد ظل وبلككس قابعا في جحره أكثر من أربعين عاما ، ثم جاء سنة ١٩٢٦ ليحاول تنفيذ دعوته ، وقام فعلا بترجمة الإنجيل إلى العامية المصرية ، وهذه القضية شأنهم وحدهم ، فليفعلوا بإنجيلهم ما شاء لأن الإنجيل ليس له لسان فعلا ، ولم تكن آيته في لسانه وإنما كانت آية عيسى عليه السلام خوارق كونية . على أن اللغة التي كتب بها من قبل لم تكن خيرا من العامية المصرية .

العملاء والأذئاب يدخلون المعركة

تسلم الراية من وبلككس العملاء والأذئاب .
فجاء سلامة موسى ليقول العبارة المشهورة : إن الأوربي يقرأ لكي يفهم ، أما نحن فنفهم لكي نقرأ .. والتي نقلها بلوره عن قاسم أمين الذي دعا الى إلغاء الإعراب ، وتسكين أواخر الكلمات ^(١) ، وما درى أن هذا دليل على ذكاء العرب وفطنته ، وحضور بديته حين يسبق عقله لسانه ، وأن مثله من المستعجمين يصعب عليهم هذا الأمر ؛ ثم يتلقف دعوة شيطانه وبلككس فيقول مؤيدا لها في كتابه « اليوم وغدا » ^(٢) : والهم الكبير الذي يشغل السير وبلككس بل يقلقه هو هذه اللغة التي نكتبها ، ولا نتكلمها ،

(١) راجع مقال سلامة موسى - الهلال - يوليو ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ إلى ص ١٠٧٧ .

(٢) كتاب أصدره سلامة موسى ، وهو مجموعة مقالات نشرت خلال عامي ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ثم أضاف إليها مقالين عند نشر الكتاب سنة ١٩٢٧ ، وقد عبر فيها بصراحة فاجره عن حقه على الدين واللغة والتراث .

فهو يرغب في أن نهجرها ، ونعود إلى لغتنا العامية ، فنؤلف فيها ،
وندون لها ، آدابنا وعلومنا »

مسكين هذا المصلح الكبير ولیم ويلككس : إن القلق يقتله من
أجل لغتنا ، ومن أجل رقيتنا ، والتلميذ مشفق على استاذہ من هذا
القلق !!! عجمى ومستعجم كلاهما قلق على لغة العرب !!!
أرأيت من قبل سفاحا تختلج في قلبه مشاعر رحمة على
ضحيتہ ؟ !!! وأنظر الى هذا المستعجم في مكان آخر من كتابه
الآثم ، يقول فيه : « ينبغي ألا يغرس في أذهان المصريين أنه شرقى ،
فإنه لا يلبث أن ينشأ على احترام الشرق ، وكراهة الغرب ، وينمو
في كبرياء شرقى ، وبحس بكرامة لا يكاد يجرحها أحد الغربيين
بكلمة » ثم يقول : « الرابطة الشرقية سخافة ، والرابطة الدينية
وقاحة ، والرابطة الحقيقية هي رابطتنا بأوربا » ماذا نقول في هذا
الضلال ؟!

لقد أفصح هذا المؤلف عن خطته ، وقدم لنا تعليلا كافيا لحقده
على الفصحى التي يعجز عن شرف الانتساب إليها . لقد قوبلت
الدعوة في هذه المرحلة بثورة عارمة ترفض هذا الضلال ،
وتستهجن هذه الدعوة . لكن هناك عوامل جبرت في هذه الفترة
أعنى العقد بين الثانى والثالث من القرن العشرين ، هي أنه مع
أحداث ثورة ١٩١٩ ظهرت الدعوة إلى القومية والشعبية ،
وجذبت بريقها الخداع بعض الأفراد حين كان الناس مفتونين بثورة
الشعب العارمة فاستتروراءها دعاة العامية . كما ظهرت على الساحة
في هذه الظروف الدعوة إلى « الفرعونية » . وكانت ثورة كمال

أنا أتترك موضع حديث الناس ، ولا سيما ما صنعه هذا الآثم الضال من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية ، وتحريم تدريس العربية في غير معاهد دينية محدودة وضعت تحت الرقابة الشديدة ، وترجمة القرآن للغة التركية ، وإلزام الناس التعبد بالقرآن التركي ، ثم مطاردة الألفاظ العربية في التركية^(١) .

هذه الظروف - في تقديري - هي السر وراء وقاحة العبارة وجرأتها في كلمات سلامة موسى ، لا سيما ثورة الانجليز لمقتل السردار ، وهم أولياء أمره ، وهو العميل لحسابهم ، وحساب الصليبية بعامة ، لقد بدأ أن هذه الدعوة قد أحرزت فورا من النجاح في بعض الجوانب حين استخدمت اللهجة السوقية في المسرح الهزلي^(٢) ، ثم انتقلت للمسرح الجدى وقامت فرقة تمثيلية تحمل اسما فرعونيا هي « فرقة رمسيس » وأقبل عليها الناس وظهرت الخيالة (السينما)^(٣) ، فاتخذت العامية لسانا لها وغابت الفصحى تماما من هذا الميدان ، كما غابت الأخلاق والقيم .

الوباء يتسرب إلى مجمع اللغة العربية

إننا عندما نرى هجمات الاستعمار وأذنا به وعملائه على اللسان العربى لا ندهش ، ولا نعجب ، لأن من المتوقع أن يقف هؤلاء من

(١) راجع الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ص ٣٦١ ج ٢ .

(٢) كتب المنفلوطى مقالا في مهاجمة الرمحاني وفرقة أثناء الحرب العالمية الأولى في كتابه : النظرات ج ٣ بعنوان « الملاعب الهزلية » .

(٣) كانت أول رواية مثلث هي زينب للدكتور هيكل ، كتب حوارها باللهجة السوقية - راجع الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٣٦٢ .

هذه اللغة التي تربط بين ملايين كثيرة من البشر في أهم منطقة من العالم ، ونزل بها كتاب سماوى يحوى قيما خالدة ، وشرعة محكمة تهدد ما للغرب من « أيدلوجيات » ومذاهب ؛ لكن الشيء الذى يثير الأسى والأسف أن يتسلل هؤلاء الأذئاب أعداء اللغة إلى « مجمع اللغة العربية » الذى أقيم من أجل حماية اللغة العربية ، وصد الغارات ضدها ، ودعمها بما يبرز إمكاناتها وقدرتها على التعبير عن مطالب العصر ، ومصطلحات العلوم ، ومبتكرات الحضارة الحديثة . ثم نفاجأ بهذه الدعوات المسمومة تنطلق من منبره !!! فيكتب عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة عيسى اسكندر المعلوف عدة مقالات عن اللهجة العامية ، يبرز أهميتها وقيمتها ، وأنها طريق للرقى ، وأن من أسباب تخلفنا اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة ، ونشرت هذه المقالات فى مجلة المجمع ، الجزء الأول شعبان ١٣٥٣ - أكتوبر ١٩٣٤م^(١) ، والجزء الثالث : شعبان ١٣٥٥ - ١٩٣٦م^(٢) ، والجزء الرابع : شعبان ١٣٥٦ هـ - أكتوبر ١٩٣٧م^(٣) .

والعجيب أن يختار عيسى هذا عضوا فى المجمع ، وهو رجل معروف بعدائه الصريح للعربية وهو عداء عريق موروث عن أبيه ؛ وهذه قضية تتطلب منا أن نرجع إلى الوراء فى مطالع هذه القرن العشرين حين كتب إسكندر المعلوف مقالا فى مجلة الهلال عام

(١) من ص ٣٥٠ . إلى ص ٣٦٩ .

(٢) ص ٣٤٩ - ٣٧١ .

(٣) من ص ٢٩٤ - ٣١٥ .

١٩٠٢م^(١) ، موضوعه : « اللغة الفصحى والعامية » دافع فيه عن اللهجات العامية ، وذكر أنه معنى بضبط أموالها ، وتقييد شواردها لاستخدامها في كتابة العلوم ، وزعم أن اللهجة العامية أسهل على المتكلمين بالعربية من اللغة الفصيحة . وأن تخلفنا العلمي نتيجة اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة « كما زعم أن تعلق المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرر له ، لأن هناك مسلمين كثيرين ، لا يتحدثون بالعربية ، ولا يكتبون بها ، ولأن اللغة التي يتكلمها المسلمون هي غير العربية الفصيحة على كل حال^(٢) .

هذا هو كلام إسكندر المفلوف ، والدعوة إذ ذاك على أشدها ، والله يعلم أنه كاذب فيما زعم ، وليس الأمر أمر الإصلاح ، فبينه وبين الإصلاح بعد المشرقين ، وإنما هو يردد ما كان يردده شياطين التنصير في عهده ومن قبل عهده ؛ فادعاه بأن سبب تخلفنا العلمي هو اختلاف لغة الحديث عن الكتابة - وهي حجة وبلككس - محض افتراء لأن أوروبا المتقدمة علميا تختلف في بلدانها لغة الحديث عن الكتابة وعن اللغة العلمية .

وهو مغالط في دعواه سهولة العامية عن الفصحى ، لأن الواقع يشهد بأن العرب في مؤتمراتهم لا يفهمون بعضهم كما ينبغي إلا عن طريق الفصحى التي تربط بينهم برباط وثيق ؛ أما اللهجات المحلية فيصعب عليهم التفاهم بها ، فالشامي يصعب عليه أن يفهم لهجة المغربي ، والعكس صحيح ، وبالفصحى يفهم الجميع ، وتلك

(١) عدد ١٥ من مارس ١٩٠٢ من ذى الحجة ١٣١٩ ص ٣٧٣ - ٣٧٧ .

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث ج ٢ ص ٣٦٢ وما بعدها .

حقيقة يقررها الواقع ، ومن المرفوض تماما تجاهله الممقوت لأهمية
الفصحى عند المسلمين ، وكأنه لا يعرف سبب أهميتها !!
القضية في حقيقتها أكبر من ذلك إنه عدااء المستعجمين للغة
الكتاب العزيز وبرهان ذلك هذه الكلمات التي ختم بها الرجل مقاله
الآثم ، إذ قال في كلمات تقطر حقدا وعداء « وما أخرى أهل بلادنا
أن ينشطوا من عقابهم ، طالين التحرر من رق لغة صعبة المراس ،
قد استنزفت أوقاتهم وقوى عقولهم الثمينة ، وهي مع ذلك لا توليهم
نفعا ، بل أصبحت ثقلا يؤخرهم عن الجرى في مضمار التمدن ،
وحاجزا يصددهم النجاح ... ولى أمل بأن أرى الجرائد العربية قد
غيرت لغتها ، وبالأخص جريدة الهلال- الغراء التي هي في مقدمتها ،
وهذا أعده أعظم خطوة نحو النجاح ، وهو غاية أملى ومنتهى
رجائي » .

لا أجد فيما قرأت عدااء للغة القرآن والعرب أشد ضراوة من هذا
العداء ، إنه يتحرق شوقا ليوم يرى فيه مغيب شمس الفصحى ،
ولم يره ولن يراه بإذن الله ، إنه يغرى الصحافة بالعدول عن
الفصاحة ، ويخص الهلال !! ولا أدري بالضبط سبب التخصيص
مع أن الهلال لها موقف كرم من هذه القضية سبقت الإشارة إليه ،
وورث الابن عيسى حقد أبيه اسكندر ، وزاد عليه أنه تسلل إلى
المجمع الوقور ونفث حقه على منبره ، إن طبيعة هذه الدعوات كما
قلت تأتي على هيئة أمواج عاتية تستغل ظرفا معيننا تعيشه الأمة ،
ولذا قد تشد بعض المخلصين الذين ينساقون مع التيار تقليدا ، أو
قل انجوا ، أو انخدعا بلافتة الاصلاح التي تقدم بها

هذه الدعوات المسمومة ، ففي فترة كتابة المجلد الصغير مقالاته في مجلة المجمع كتب الشيخ عبدالقادر المغربي مقالا تحت عنوان : دراسة في اللهجة المصرية^(١) .

على أن أهداف هذه الدعوة لا تحتاج إلى ذكاء وقاد لكشف بواعثها ، فقد نشرت الهلال عام ١٩٣٤ مقالا عجيبا للدكتور حسين الهراوي ضمنه تقريراً وقع في يده للجنة العمل المغربي الفرنسية يقول الدكتور حسين : « فرأيت هذا التقرير يتبع السياسة الاستعمارية ، ويصف مقاومة الاسلام ، والتقارير السرية التي يرسلها المستشرقون في البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الاسلام ، لأن روحه تتنافى مع الاستعمار ، وأن أول واجب في هذا السبيل هو التقليل من أهمية اللغة ، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية في شمال إفريقيا واللغات العامية حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم ، ويمكن التغلب على عواطفهم »^(٢) .

لقد اتضحت - إذن - أبعاد المؤامرة ، وإلا فما السر في هذه الظاهرة الغريبة التي انتشرت في الربع الأول من القرن العشرين ؟ وهي كثرة مؤلفات المستشرقين والأوربيين بعامة عن اللهجات العامية في الأمصار العربية ، إنهم يمهّدون لمستقبل يخططون له تلقى فيه هذه اللغة حتفها كما تصوروا فلا يسع الناس إلا الاسترشاد بما كتبوا لهم . ﴿ ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ﴾ وبرغم

(١) مجلة المجمع الجزء الثالث : شعبان ١٣٥٥هـ - أكتوبر ١٩٣٦ من ص ٢٩٠ - ٣٠١ .

(٢) الهلال - عدد يناير ١٩٣٤ ص ٣٢١ - ٣٢٨ تحت عنوان : هل ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم ؟ .

الأهداف التي افتضح أمرها ، وانكشف عوارها يتوالى في غير حياء
ركب الأذنان والعلاء ، ومن ورائهم المقلدون ، والمخدوعون .

ويتسلم الراية « لويس عوض »

قال في كتابه الذى أصدره عام ١٩٤٧ : « بلوتولاند وقصائد
أخرى من شعر الخاصة » : إنه تعلم مبادئ الإيطالية ، واسترعى
انتباهه أن البعد بين اللغة اللاتينية المقدسة ، ولهجتها المنحطة
الإيطالية أقل من البعد بين اللغة العربية المقدسة ولهجتها المنحطة
المصرية ، ويذكر أنه عجب لإصرار المصريين على العربية
المقدسة ... ثم ذكر أن الانقلاب اللغوى لم يقوص أركان الدين في
أوربا ، وإنما قوص أركان الكنيسة ، وضرب على هذا الوتر ، وكأنه
يقول للمصريين : اكتبوا القرآن بالعامية المصرية لتفهموه ، ولتقضوا
على سلطان رجال الدين الذين لا يريدون لكم أن تفهموا .
هذا هو تصور هذا اللسان الأعجمى فكرا ولغة ، يؤدى بأمانة
تامة رسالة اساتذته المبشرين ، ليكمل الشوط الفاشل الذى انقطعوا
دون الوصول إليه ... ولن يصلوا ؛ إن هذا الرجل كان يحلو له أن
يقدم نفسه بأنه « عرف بدعوته للأدب العامى ، في صدر حياته
الأدبية ؛ وبعد هؤلاء نكست أعلام هذه الدعوة ، وفرت الأفاعى
إلى جحورها مؤقتا تنتهز الفرصة المواتية ، لتعاود نشاطها في بث
السموم .

لقد اتسعت حركة إحياء التراث العربى والإسلامى ، وتعددت
مراكزها وامتدت في كل مكان من أرض الوطن العربى ؛

واستعادت اللغة العربية مكانتها في المدارس ودور العلم ، وأصبح النجاح فيها شرطا أساسيا لانتقال الطالب إلى مرحلة أعلى ، كما تعددت وتكاثرت المعاهد الخاصة بدراسة اللغة العربية .
رفوم محاولات جادة لتعريب الطب ، كما فرضت اللغة العربية نفسها في كثير من المحافل الدولية ، ومع ذلك لا تفتر هم هذه الحيات .

ونأسف مرة أخرى

حين يستغل - هذه المرة - منبر الجامعة العربية التي قامت بين العرب على أساس من وحدة اللسان ، فيصدر عنها وهي غافلة ما يدعو لقطع اللسان ، أو قل : يخرج منها من يدعو لقطع اللسان الفصيح الذي هو قاعدة الارتباط ؛ أصدرت اللجنة الثقافية عام ١٩٥٥ كتابا عنوانه : « اللهجات وأسلوب دراستها » لأنيس فريجة جمعت فيه المحاضرات التي ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية ؛ ما معنى إحياء اللهجات الإقليمية في ظل الجامعة العربية ؟ أليس معنى هذا أن الجامعة تهدم نفسها بنفسها ، بل وتتطوع بتقديم المعاول لهاذمها ؟!!

أ إلى هذا الحد تغيب هذه الأمة عن وعيها ، وتفقد رشدها ؟!! ، وفي ذات الطريق يعود لويس عوض مرة أخرى في الستينات ليتابع نشاطه المشبوه ، ويؤدى رسالته الباغية في أسوأ سنوات عاشتها مصر والأمة العربية ، بل إننى وقت إعدادى لهذا الكتاب نشرت الشرق الأوسط المقال التالى « هجمة وبلوكوسية

جديدة ضد لغة القرآن الكريم» وفي هذا المقال أشار الكاتب إلى تقديم إحدى مسرحيات شكسبير على أحد مسارح القاهرة باللغة العامية بدعوى أن اللغة العامية هي لغة الشعب ، وأن الهدف من التجربة تقديم الأعمال العالمية للشعب المصرى ، بلغته البسيطة التى يفهمها العامة ، والأكثر غرابة أن أحد المشايخين للتجربة العامية استضافه التلفزيون للحديث عن المسرحية فزعم فى جرأة نادرة أننا حين نقدم مسرحية شكسبير (كما تهوى) باللغة العربية «الجاهلية» هكذا بالنص - فكأننا نخون الزمن ، مع أن صاحبنا - صاحب مصطلح اللغة العربية الجاهلية - أستاذ !! وأين ؟ فى كلية الآداب ، فى أقدم جامعة مصرية ، - جامعة القاهرة !!^(١) .

معنى هذا أن بقايا الإفك القديم لا تزال جاثمة على عقول بعض المثقفين والخديعة - برغم الوعى - مستمرة ؛ فتحت ستار (الفلوكلور) والفن الشعبى تنشط وسائل الإعلام ضالة أو مقلدة إلى تبنى الآداب العامية حتى يقتلوا الذوق السليم فى هذه الأمة ، فتحول عن الأدب الفصيح ، ويتحقق لهم الهدف من طريق آخر ؛ ولنا عودة إلى هذا الموضوع باعتباره إحدى الصور لحرب اللسان العربى .

هذه هى الجهود الصريحة والمباشرة التى تتجه إلى حرب اللغة عن طريق الدعوة إلى اللهجات الإقليمية ؛ لكن البلاء كل البلاء فى الأساليب غير المباشرة ، وهى موضع حديثنا فى الفصل التالى .

(١) الشرق الأوسط عدد ١٩٨٤/١٢/٢٦ ص ١٢ بقلم د. مرعى مذكور .

الفصل الرابع

الدهاء بعد العداء

صور أخرى لضرب اللسان العربي

شعارات مطروحة على الساحة

اللغة الوسيطة

الأسلوب اللبثاني التوراتي

قال المثقَّب العبدى :

فإما أن تكون أخى بصدق فأعرف منك عَنِّي من سميتنى
وإلا فاطَّرحنى واتخذنى عدوا أتقيه ويتقينى

شعارات مطروحة على الساحة

الوسائل المباشرة في الحرب أهون عاقبة وأقل خطراً من الوسائل غير المباشرة ، وانصاف الحلول أقبح مآلاً من العداء الساخر ، واساليب الخداع والتمويه يلجأ إليها الأعداء عند شراسة المقاومة لتهدأ العناصر الوطنية ، وتطمئن ، وتظن أن الحرب انتهت ، وأن العدو لجأ إلى المسالمة والمهادنة ومن أجل هذا غير أعداء الفصحى خطتهم ، والذي أريد أن ألفت النظر اليه هو أن هذه الخطط لم تكن متتالية وإنما كانت في كثير من الأحيان متعاصرة ومتزامنة حتى إذا فشل المحاربون ضراحة يمكن أن يتحقق الهدف على أيدي الآخرين .

لقد طرحت تعبيرات على الساحة الأدبية واللغوية منذ أوائل القرن الميلادي الحالي ، ومنها : اللغة الدينية ، واللغة الكلاسيكية ، ثم اللغة التراثية ، وكانت هذه التعبيرات تهدف إلى التشكيك في مقدرة الفصحى ، والإيمان إلى عجزها عن مواجهة ما يستجد من مصطلحات العلوم ، ومسميات آلات الحضارة ، وظواهر المدنية تمهيدا لما يليق من أفكار باسم الإصلاح اللغوي ، فكون اللغة العربية لسان القرآن الكريم ، كتاب الإسلام الخالد ، قالوا : إنها لغة دينية وهدفهم من هذا ليس التعبير عن واقع

صحيح مشرف ، وهو أن القرآن منحها مزيدا من القدرة والحياة ،
والضبط والتقنين بحيث لا ينتقل بألفاظها تطور الدلالة إلى شيء آخر
مختلف ، بحيث تتباين لغة العصر الحالي عن لغة القرون الخوالي ،
والاسلام من ناحية أخرى ، والذي كانت العربية لسانه يختلف
واقعه عن مفهوم الأوربيين للدين ، إذ هو الحياة بسعتها ، هو
العقيدة ، وهو العبادة ، وهو البيت والمدرسة ، والشارع ، والعمل
والسعى ، والحرب والسلام ، هو الحياة بكل ما فيها من حركة
ودأب ... لم يكن في مقصد القوم - حين قالوا عن اللغة إنها
دينية - هذه المعاني الكبيرة ، وإنما أرادوا أن يدمغوها بضيق
الأفق ، والعجز والقصور وأن أمرها لا يتجاوز ألفاظها للعبادات ،
والطقوس الدينية ، كعهدهم بشعائر المسيحية التي تؤدي بلغة لا
حياة لها ولا وجود ، ولا يذكرها القوم إلا في مراسم الزواج ،
والوفاة ، وصلوات الآحاد ، وهذا الفهم مرفوض تماما لمخالفته
لواقع ديننا ، وحقيقة لساننا .

يقول صاحب أباطيل وأسار ، كاشفا الدوافع وراء هذا
الوصف الذي أطلقه القوم على لسان القرآن : وأما شبهة اللغة
الدينية فإن الدواعي إليها - إن صح ما أقول - هو أن الدعاة
والمبشرين ، والمستعمرين لما دخلوا بلاد الإسلام في أفريقيا والهند
وغيرهما رأوا الطفل الصغير ، والجارية والغلام كلهم يحفظون القرآن
عن ظهر قلب ، والمسلم يتلوه في صلاته خاشعا باكيا ، ورأوا أن
بعضهم لا يعرف من العربية إلا ما يحفظ من القرآن ، ولا يحسن أن
يقرأ شيئا بالعربية إلا القرآن ، ظنوا أن ذلك كذلك ، لأن اللغة

العربية « لغة دينية » وهو ظن سخيف جدا عندنا بالطبع .^(١)
وأقول إن سر هذه الظاهرة التي فسرها الشيخ شاكر مقالة القوم
- إن فاتهم ادراك هذا السر - هو النظم القرآني نفسه الذي يخلب
العقول ، ويشد الانتباه حتى تغرس كلماته في الوجدان : وجدان أى
إنسان عربيا كان أم غير عربى ، متعلما كان أم أميا !! ولو كان تفسير
هذا أنها لغة دينية لكان من حقنا أن نسأل : لماذا لم يحفظ غلمان
النصارى الإنجيل بالسريانية مثلا ؟ إن القضية هى حيوية اللغة التى
فرضت نفسها على ألسنة البشر ، كما فرض الدين الحق مبادئه على
عقول اولى الأبواب من الناس .

الكلاسيكية والتراثية

نأتى بعد هذا إلى شعار آخر رفعوه هو تعبير اللغة الكلاسيكية ،
أو اللغة التراثية ، وهو تعبير مرفوض تماما فى مسيرة اللسان
العربى ؟! إذ لم يتحول فى وقت « ما » الى تراث ، ولم يكن اللسان
الفصيح فى وقت ما كلاسيكيا ، ولا يزال يتحدث به كل
أصحابه ، أوليائه منهم وأعدائه على السواء .

لقد سبق التعبير بلفظ كلاسيكى فى كلمة « إرفنج » حيث شبه
العربية باللاتينية ، والسنسكريتية ، ولم يكن اللسان العربى فى أى
مرحلة من مراحلها مثلها ، ولم ينظر إليه أبدا على أنه تاريخ ، وتراث
عزى ، يودع فى دار العاديات ، أو فى متحف ليكون نزهة للناظرين
أو السامعين ، ومعنى هذا التعبير أن اللسان الفصيح أو

(١) راجع أباطيل وأسمار .

الكلاسيكى ، أو التراثى على حد تعبيرهم لابد أن يخلى مكانه للجديد الذى أزاحه عن واقع الناس !!! وما الجديد ؟ ! إنه العامة التى تجرد المستشرقون وعملآؤهم للدعوة لها !! وإلى أى مدى يوصلنا هذا الكلام ، أو هذه التعبيرات العشوائية البراقة ؟ ! ستوصلنا بالطبع إلى أن القرآن الكريم ولسانه أصبحا مجرد تاريخ ، ولا مكان لهما فى الواقع المعاصر للعرب والمسلمين ، لأن لسان القرآن - فى حياتنا - لسان غير واقعى ، غامض غير مفهوم ، إنه كلاسيكى !! مجرد تحفة موروثه ، مع أن الواقع يدفع هذا الاتجاه ، ويجعل هذه التعبيرات الجوفاء ، مجرد ألفاظ فارغة ، كحصوات تلقى فى خضم عظيم . وما هو الواقع ؟ سأقدم أمثله منه .

نرى الأميين فى قلب الريف يستمعون الى قارئ القرآن الكريم بإصغاء عظيم ، ومتابعة تامة ، واستجابة وجدانية واعية ، يصلون على النبى صلّى الله عليه وآله إذا ذكر فى الآية ، ويطلبون من الله الرضوان إذا تحدثت الآيات عن الجنة ، ويستعيذون من غضب الله إذا تحدثت الآيات عن النار ، إن القراء فى ريف مصر الذليل لا يملكون من العلوم إلا حفظ القرآن تجدد الستهم أكثر استقامة فى لغة المحادثة والتخاطب أكثر من درس علومما شتى عصرية أو غير عصرية ، ولم يكن من بينها القرآن الكريم ، هذه اللغة التى نسميها لغة تراثية أو كلاسيكية مجارة لأعدادها ظهرت فى لغة الصحافة مطالع هذا القرن ، ولا زلنا نذكر العنوان الرئيسى ، الذى نسميه بلغة الصحافة (مانشيت) لأحد أعداء جريدة اللواء ، التى كان يصدرها الزعيم مصطفى كامل ، وكان عبارة عن بيتين من الشعر

الجاهلى للمثقب العبدى ، وقد اتجه بها إلى الخديوى عباس ،
لموقفه المتناقض من الحركة الوطنية فيقول له :

فإما أن تكون أخى بصدق فأعرف منك عتّى من سمينى
وإلا فئا طرحنى ، واتخذنى عدوا أتقيه ، ويتقبنى
ومن ناحية أخرى أيصح لنا أن نقول : إن لغة القرآن الكريم لغة
تراثية أو كلاسيكية ؟

إنها قضية التشكيك فى قدرة الفصحى ، وهذا أمر أعتقد أن
واقعنا الآن يؤكد أننا تجاوزنا مرحلة الرد عليها ، يقول « فرجسون »
فى مقاله عن اللغة العربية بدائرة المعارف البريطانية سنة ١٩٧١م ص
١٨٢ : « إن اللغة العربية اليوم سواء بالنسبة إلى عدد متحدثيها أو
إلى حد تأثيرها تعتبر إلى حد بعيد أعظم اللغات السامية جمعاء ، كما
ينبغى أن ينظر إليها كإحدى اللغات العظمى فى عالم اليوم »^(١)
وما كانت لتحتل هذه المكانة التى يصفها الكاتب ، المشار اليه
إلا لأنها تاريخ عريق ممتد منذ عصر ما قبل الإسلام إلى الآن ، دون
انقطاع ، مستبقية خصائص الفصحى وعزاقها ، ومادام القرآن
الكريم موجودا ، وسيظل كذلك فلن يكون من الحق ، أو من العلم
القول بأنها تراثية أو كلاسيكية ، وأسوأ تعبير فى تقديرى وصفها
« باللغة الجاهلية » .

إنه تعبير جاوز صاحبه به دائرة التوفيق إن كان حسن الظن ،
وتعبير يقطر عداً وحقداً إن كان صاحبه على غير ذلك ، لأن هذه

(١) نقلا عن الأسس المعجمية ص ١٥ .

اللغة التي يصفها الدكتور المشايخ^(١) لعرض مسرحية شكسبير بالعامية المصرية بأنها اللغة الجاهلية هي بعينها لسان الكتاب العزيز ، وهي اللسان العربى المبين وهى التى فرضت نفسها وآدابها على الوجود البشرى أكثر من خمسة عشر قرنا وتحدث بها الملايين من غير أبنائها . ولا تزال برغم ضعف ذوبها وتخاذلهم تتفتح لها الميادين الجديدة ، والأدب الجاهلى - وهذا وصف صحيح - لا يزال يستهوى الكثيرين ، وسيظل كذلك لأن الجاهلية ليست بمعنى الجهل ، كما يفهم أنصار العامية ، وإنما جاهلية القوم تعنى مزيدا من الحمية والغيرة على العرض والشرف ، ومنازل القبيلة ، ومنابع الماء حتى تخرج أحيانا عن دائرة الحلم كما قال شاعرهم :
ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهليتنا

(١) سبق منذ قليل أن أشرنا إلى مقال الشرق الأوسط وعنوانه : « هجمة وبلكوكس جديدة » .

اللغة الوسيطة أو المتوسطة

فى ظلال الفشل الذريع الذى منيت به الدعوة إلى العامة فى مراحلها المتعددة ألقى زهاء المبشرين عروضاً أخرى على الساحة عليها تنجح فى أن تكون شراكاً يقع منه بعض المتمسكين بالفصحى ، ذلكم هو ما يسمى « باللغة المتوسطة » وهى تهذيب للعامة كما أنها ليست بالفصحى .

وقد ظهرت هذه الدعوة من قديم ، فى خلال كلام « ولهم سبيتا » الذى يدعو فيه للعامة قال : « ولكن لغة القرآن لا يكتب بها الآن فى أى قطر ، فأينما وجدت لغة عربية مكتوبة فهى اللغة العربية الوسطى ، أى لغة الدواوين ، وحتى ما يدعى بالوحدة بين الشعوب الإسلامية لا يمكن أن يقلقها لغة الحديث العامة » .
هكذا قال ، وهذا الرجل إما جاهل أو مغالط ، أوهما معا وهو الأصح ، لأن القرآن الكريم ليست له لغة خاصة ، لأن آيته التى اقحمت الفصحاء مماثلة فى الأداء والنظم بجانب المضمون الذى حوى أعظم المبادئ ، وأسمى الشرائع ، وأصدق الأخبار ، أما مادته اللفظية ، وحروفه وصوتياته فهى فى متناول الجميع ، ولأجل هذا تحدى الله به العرب ، فقال : ﴿ ألم . ذلك الكتاب ﴾ ﴿ المص . كتاب أنزل إليك ﴾ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ ﴿ ص والقرآن ذى الذكر ﴾ ﴿ ق والقرآن المجيد ﴾ ولو كان له لغة خاصة

به ما كان هناك مسوغ للتحدى !!! ، وإذا أخذ كل إقليم بعاميته
كيف تبقى الوحدة الإسلامية ؟

معذور « ولیم سبیتا » لأن تصوره أن القرآن كالانجيل فى لغته ،
وأن الإسلام كالمسيحية مجموعة من الطقوس والشعائر يؤدونها حتى
إذا خرجوا من الكنيسة إلى المستعمرات ذهب الخلق ، ومات
القيم ، أسوأ ما فى القضية فتنة الكثيرين بوعى أو بغير وعى بفكرة
اللغة الوسيطة وظهر ذلك فى بعض الآراء التى أبديت فى
استفتاءات مجلة الهلال التى أشرت إليها آنفا ، على أنى لا أعرف
بالضبط ماذا يراد بلغة متوسطة ؟ أهو الوسط الرياضى أم الوسط
الهندسى ، أم ماذا ؟ هى فى تقديرى مجرد حيلة للإعراض عن
الفصحى ، لغة القرآن والتراث ، ولغة الأعزاء الكرماء ، لكن فى
صياغة جديدة قد تستهوى بعض من وقفوا بإصرار فى وجه العامة .
وهذا هو وجه الخطورة فى هذا الأسلوب الجديد ، أنه يعتمد على
الحلول الوسط ، وإلى تحقيق الهدف بوسائل مغلفة بمظاهر خادعة
وتحت شعار الحرص على الفصيحة من الدعوات الهدامة ... لكنهم
فى النهاية يريدون ذات النتيجة ، فالأسباب متنوعة والغاية واحدة ،
هى خطة المستشرق جب (Gibb) التى يسميها التحول الهادئ ، إذ
وصف تطور المجتمع المصرى بأنه يسير سيرا هادئا ، تدريجيا لا يكاد
يستوعب الانتباه ^(١) ، ذلك هو الأسلوب الخبيث الماكر الذى ألقى
القوم سمومه ، ونصبوا للوطنيين شباكه فوق فى حبالهم على سبيل
المثال فكرى أباطه ، وتوفيق الحكيم ؛ اتجه أولهما الى ترقيع الفصحى

(١) راجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب الحديث ج ٢ ص ٣٨٥ .

ببعض الكلمات العامة ، أو السوقية والمبتذلة ، متصوراً أن هذا تجديد في اللغة ، على أنه في تقديرى نوع من التفكه في التعبير ، والتماس الظرف في تضمين عبارته بعض ألفاظ السوق ، نأخذ مثالا لهذا مقاله : « التقليدزم » يسخر فيه من المتفرجين من أبناء الأمة ؛ الموضوع فيه أصالة مطلوبة ، لكن العبارة بصورتها الراهنة مرفوضة ، لأنها تعنى استجابة لدعوات هدامة لا تريد للأمة ولا للسانها خيرا ؛ يقول : « دعنا من هذا ، وانتقل بنا إلى الاجتماعات ، وتعالى معى نحدّق ، ونخلق في ذلك الطالب الصعيدي (القحف) الذى أبى إلا أن يقلد (الخواجات) فطرح الطربوش ، وزر الطربوش ، ووضع على شعره (الأكرت) ورأسه التى أخذت في عالم الهندسة شكل (الشبه منحرف) البرنيطة أو (الكسكتة) . هل تفرق بينه وبين بائعى الإسفنج ، ومساحى الأحذية من (الأرض) (وجرسونات) للقهاوى بعد التشطيب ، وبائعى البانصيب والفارين من الخدمة العسكرية؟! ثم يقول : فإذا لم تعجبك هذه (التقليعة) فتعال معى أفرجك على أستاذ من طلبة دار العلوم ، هجر الجبة والقفطان ، والمركوب واللعنة ، ودخل في (البنطلون) واحتل الطربوش رأسه (الزلطة) واختفت ربطة (البماغ) داخل الياقة الواسعة ، فإذا سار هروول ، وإذا أكل (شمس) وإذا شرب مصمص ، وإذا جلس جلس القرفصاء ، وإذا هب (زى الناس احتاس) ^(١) .

(١) نشر المقال بالسياسة الأسبوعية - عدد رمضان ١٣٤٤ - ٢٧ من مارس ١٩٢٦ ص ٩ .

على هذا النحو من الأسلوب الحفيف المستملح يعرض فكري أباطة صورا للمتفرجين من المجتمع المصرى ، لكن عبارته تشكل مأساة لغوية عندما يقع فى الشباك صحنى أديب مثله ، وحسبه أنه بهذا الإطار الفاسد حبس أفكاره فى دائرة القارئ المصرى ، فلا يكاد يفهمه غيره .

أما توفيق الحكيم

فعندما تستمع لكلماته فى هذا المجال لا ترى منهجا محددًا ، ولا صياغة علمية مقبولة ولا استنادا إلى أسس يعول عليها ، وإنما هو مجرد اجتهد صادر عن هوى ، محفوف بأخطاء علمية ، وجهل بالتراث ، وقواعد اللغة بصورة لا تغتفر لمثله ، لقد قدم كلامه بدعوى خادعة يفهم منها الحفاظ على الفصحى بالرد على من قالوا بالهوة السحيقة بين الفصحى والعامية ، يقول كما جاء فى مقاله بالأهرام : إن أهل المصلحة منهم يمعنون فى أيهامنا بعمق الهوة بين الفصحى والعامية ، ثم يقول : إن الواقع الذى لاحظته اليوم ، ولاحظه كثيرون هو عكس ذلك الزعم ، فالعامية هى المقضى عليها بالزوال ، والفارق بينها وبين الفصحى يضيق يوما بعد اليوم ؛ ثم انتقل إلى حلّ هو « أنه يرفض الاعتراف بلغة منفصلة مستقلة ، اسمها العامية ، تترجم إليها العربية ، كما لو كانت لغة أجنبية ، فى حين أن الموجود هو مجرد لهجة تخاطب عربية ، استخدام فيها بعض الرخص ، والاختزالات ، والاستبدالات كاستعمال الحاء بدلا من السين فى الفعل المستقبل ، فينطق « حاكتب » بدلا من « سأكتب »

والحق الباء بالفعل المضارع تأكيداً للحاضر مثل « يكتب » إلى آخر الأمثلة التي ضربها ، ثم ناقش قضية عدم وجود الإعراب في العامية ، فكان مما قاله : ولعل الأمر كذلك ويعنى عدم الاهتمام بالإعراب ، أيام العرب القدامى في أوج حضارتهم ، فقد كان يقال : « سكنَّ تسلم » وما نحسب الكلام والتخاطب في الأسواق في أيامهم كان بإعراب أواخر الكلمات ، فالتسامح إذن في الوقف في الحوار التمثيلي العصري ، المنطوق والمكتوب يجب ألا يقدر في عربية اللغة وسلامتها وقد قال ابن الأثير في أسد الغابة : « إن اللحن لا يقدر في بلاغة أو فصاحة »^(١) ، ماذا نفهم من كلام توفيق الحكيم ؟ وما الغاية التي يريد أن يصل إليها ؟ ، هناك أمر لابد لنا من الوقوف عليه قبل أن نناقش رأيه ، هذا المقال كتبه الحكيم تقديراً لمسرحية « الورطة » بمثابة تجربة عملية لما زعمه من اللغة الوسيطة التي دعا إليها حفاظاً على الفصحى التي يجب أن تبقى ، وقد نشر هذا المقال عام ١٩٦٧ في الصفحة الثقافية من الأهرام حين كان يشرف عليها « لويس عوض » وكفى !! إنه العدو اللدود للفصحى ، ويفاخر بذلك ، ويحب أن يربط اسمه بهذه الدعوة ، ولا يزال على هذا الضلال حتى الآن^(٢) ، وعندما نلقى نظرة موضوعية على اقتراح « الحكيم » يتضح لنا الملاحظ الآتية :

(١) راجع أباطيل وأسفار .

(٢) راجع ما كتبه د. لويس عوض في المصور - عدد رقم ٣١٤٠ بتاريخ ١٩٨٤/١٢/١٤ . والعدد التالي الصادر بتاريخ ١٩٨٤/١٢/٢١ . يمجّد في هذه الأعداد أدباء إيطاليا : بترارك .. ودانتى . وبوكاشيو لاتجاههم للعامية الإيطالية . وإعراضهم عن اللاتينية . وأنهم هذا كانوا أعمدة النهضة .

- ١ - هذا الرأي قام على عدة ملاحظات سطحية تصورهما الأستاذ الحكيم الفروق الوحيدة بين العامية والنصحى .
- ٢ - يقيم القضايا على مجرد الحدس ، إذ تصور أن القدماء ما كانوا يهتمون بالظاهرة الإعرابية ، وأنهم كانوا يقولون : « سكن تسلم » مع أن هذه العبارة جرت على الألسنة في أيامنا هذا حيث استشرى الاستعجام ، وقل من يحسن الإعراب ، وكثير من يهون من شأنه .
- ٣ - وعلى أساس الحدس وحده توقع أن لغة التخاطب عند العرب قديماً كانت قائمة على مبدأ التسامح في الإعراب .
- ٤ - الأمر الذى يلفت النظر ، ويدل على أن الكاتب المسرحى الكبير لا يعبأ بالتراث وأن صلته به لا تتجاوز صلة رجل الشارع فى أى حى من الأحياء الشعبية ، إذ ذكر هذه العبارة : « إن اللحن لا يقدرح بلاغة أو فصاحة » ونسبها لابن الأثير فى أسد الغابة ، وهنا خطأ فى النسبة . وفى مضمون العبارة ، أما فى النسبة فلو أن « الحكيم » نسبها لابن الأثير وسكت لكان موقفه سليماً الى حد بعيد لكنه ذكر أن العبارة فى « أسد الغابة » ، وكتاب أسد الغابة فى تاريخ الصحابة ، ومؤلفه : عزالدین أبوالحسن على بن الأثير الجزرى ، المتوفى سنة ٦٠٣هـ . ولعل « الحكيم » يعنى أخاه : ضياء الدين أبا الفتح ، نصرالله وقد ولد بعده بثلاث سنوات ، وتوفى سنة ٦٣٧هـ^(١) ، والكتاب الذى يتوهم أن يكون فيه هذا الكلام

(١) راجع فى ترجمته : وفيات الأعيان لابن خلكان . وانباء الرواة . وفى تاج العروس مادة : « أثر » أبيات .

هو « المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر » ، على أن النص المشار إليه غير الموجود في الكتاب ، بل يناقضه تماما ، والنص هو : « ومع هذا ينبغي أن نعلم أن الجهل بالنحو يقدح في الجاهل نفسه ، لأنه رسوم قوم تواضعوا عليها ، وهم الناطقون باللغة فيجب اتباعهم » ؛ كأن ابن الأثير يريد أن يؤكد ما قيل من أن اللحن يضع من قدر اللحن ، فهو هجنة للشريف وإزرار بالعالم الكريم ، وهذا يناقض تماما العبارة التي كتبها الحكيم ليدعم ما دعا إليه من اللغة الوسيطة أو قل : اللغة المرقعة .

لقد قدم الحكيم اقتراحه هذا كما أشرنا في تقديمه لمشرحية « الورطة » وكانت « ورطة » فعلا لا للغة فحسب ، وإنما كانت مقدمة للورطة الكبرى التي وقعت فيها مصر والأمة العربية سنة ١٩٦٧م ، غير أني أقول مقالة الشاعر القديم :

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوى من صديق
لقد أوقفت تيارا جارفا كان ي تهدد مقدرات هذه الأمة ، ومنه هذا العداء للفصحى سواء الظاهر منه أم المستور ، فما في كلام الحكيم ، كما أشرت إلا الدفاع عن العامية ، وتسويغ مظاهر العجمة فيها ، وضرب ظاهرة الإغراب السمة الأساسية للفصحى ، ولما كتب بها من تراث ؛ وثمت برهان آخر يشير الى ما كشفتته النكسة من ضلالات .

هذا الاضطراب الذي أصاب « لويس عوض » عندما رأى حركة الفكر في مصر منذ هزيمة سنة ١٩٦٧م تتجه إلى التراث

بقوة ، فكتب لمجلة « الطليعة » وهي مجلة يسارية يقول : إن حركة الفكر المصرى منذ هزيمة ١٩٦٧ ، تتسم بظاهرة غريبة ومتناقضة تبدو فى ازدهار الإحياء السلفى من جهة ، وازدهار الانفتاح نحو العالم الخارجى من جهة أخرى» (١) .

فإحياء الفكر السلفى - وهو يعنى بهذا حركة الجماعات الإسلامية ، وتشبثها بالدين منهجا - فى نظره ظاهرة غريبة ومتناقضة !! ولست أدرى أى غرابة فى هذا أو تناقض !!؟ الغرابة فى تقديرى فى تصويره الخاص ، لأن أهدافه ، وأهداف من معه ، ضربت تماما ، وفى مَقْتَل ؛ وعناصر الأصالة فى هذه الأمة لن تموت ، إذ من الملاحظات الواضحة أمام من يتتبع سير الأحداث ، ويرقب عن كثب معارك الفصحى والعامية بكل صورها يجد أنه عندما تشتد الحملة ضد اللغة والتراث فى أى عصر تجد معها معركة مضادة تتصدى لها وجها لوجه ، كحركة إحياء التراث ، أو ظهور مفكرين أصلاء ، أو شعراء مبرزين على صعيد الفصحى ؛ ففى خلال الستينيات التى نشط فيها « الحكيم » و« لويس » وأمثالها ظهرت فى مصر عن طريق وزارة الثقافة حركة واسعة لنشر أبحاث التراث لهذه الأمة .

وصدق الله العظيم ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾

الأسلوب اللبناى التوراتى

كانت هناك محاولة أخرى فى بلاد الشام للابتناد عن

(١) الشعبية فى الأدب العربى الحديث - أنور الجندى ص ٨٤ . ص ٨٥ .

الفصحى ، وما يرتبط بها من قيم وآثار ، لا تساير معتقدات أصحابها ، وهم من الكتاب اليساريين ، والمارونيين الذين يتحركون فى دائرة الحزب السورى الاجتماعى .

بدأ هذه المحاولة جبران خليل جبران ، وميخائيل نعيمة ، وورثهما دعاة آخرون منهم سعيد عقل ، وأدونيس ، ويوسف الخال ، وأنيس فريحة ، وغيرهم من اليساريين ، والمارونيين فى الحزب السورى الاجتماعى ، ودعاة القومية اللبنانية ، الفينيقية ، كان يوسف الخال يدعو إلى العامة ، أو إلى اللغة المحكية التى تكتب ، كما تروى دون ارتباط بقواعد أو أصول ، وسعيد عقل كان يدعو إلى العامة اللبنانية المكتوبة بالحروف اللاتينية وأصدر أول كتاب باللهجة اللبنانية سنة ١٩٦١ ، أسماه (ياره - شعر) وطبع بأحرف الأبجدية اللاتينية ، ويسير فى خط سعيد عقل أنيس فريحة ، وله تاريخ معروف فى حرب الفصحى ، ولا يكادان يختلفان فى ذلك إلا فى أن كلا منهما يريد إحلال لهجة قريته ، فأنيس يريد لهجة « رأس المتد » وسعيد يريد لهجة « زحلة » .

يقول الدكتور عمر فروخ تعليقا على كتاب سعيد عقل : إني أدرك أن جهات خاصة ستصفق لصدور هذا الكتاب ، لا على أنه إنتاج أدبى جديد ، بل على أنه محاولة من المحاولات التى يحبونها فى ميدان النشاط الذى يقومون به ، إن الدعوة إلى اللغة العامة بالحرف اللاتينى جاءت أولا من الخارج ^(١) ، وقد وجدت دعوة

(١) الشعبية فى الأدب الحديث ص ٢٢٣ .

سعيد عقل صدى في بعض الأوساط ، فكتب كمال الملاح في الأهرام صفحة عن سعيد عقل ، ودعوته للقومية اللبنانية^(١) ، وأما أدونيس ، واسمه على أحمد سعيد ، كان يسمى نفسه « مهيار » تسميًّا « بمهيار الديلمي » الشاعر الذي حارب العروبة والإسلام ، كان في أول الأمر مسلماً شيعياً ، ثم خرج عن الإسلام والعروبة جميعاً ليدخل في حضانة المستعربين ، يردد فكرهم الذي يتجهون به لضرب مقدسات هذه الأمة ، إنه أول من ناصر القرامطة ، ومجد حركتهم ، وأثنى على تخريبهم ، ولا تزال شياطينه تتخبطه فيضرب على غير هدى ، ومن بين أهدافه لسان هذه الأمة التي لا نظن أن انتسابه إليها حقيقة واقعة .

وخطة الأسلوب اللبناني التوراتي تلخص في عدة دعوات متعارضة ومتشابكة فيها تشجيع للعامة اللبنانية ، وفيها إغراض عن الحرف العربي ، وفيها تنكر لعمود الشعر ، والابتعاد تماماً عن الفصيحة بكل خصائصها ، وملاحها ، ليتهى الأمر إلى أساليب عربية ، وليست بعربية فيها أصوات اللغة العربية ، وليس فيها سمتها وخصائصها ، حتى تصبح لغة غريبة يأخذ فيها القوم أنفسهم بها على أساس أنهم لم يتركوا لسانهم العربي حتى يصلوا في النهاية إلى درجة مزرية من الاستعجاب يصعب معها العودة إلى التراث ، أو فهمه ، حتى إذا استيأسوا منه رموا أنفسهم في أحضان العامة ، وبالتالي الحرف اللاتيني ، ولغة التوراة فيها هي عليه من ركة ، وسوء

(١) الأهرام الصادر بتاريخ ١٣/٤/١٩٧٤ .

نظم ، وتهافت في التأليف ، مثل ، وقدوة لهم ، فيا هم بسبيله من
ضلال .

الفصل الخامس

الدعوة إلى إلغاء الحرف العربى

« إن قراءة القرآن العربى ، وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية !! »

المستشرق الألمانى « كامفماير »
بعد تغيير الحرف العربى فى تركيا

كيف نشأت هذه الدعوة ؟

هى فى حقيقتها إحدى حلقات المخطط الرهيب الذى دبره القوم لضرب لسان هذه الأمة ، والقضية أن هؤلاء الناس اصطنعوا وسائل عدة فى هذه الحرب الشرسة ، إن فشلت واحدة تنجح الأخرى ، وهذا التدبير منهم ناشئ عن فهم عميق لقيمة هذا الحرف العربى ، وتأثيره فى دعم الرابطة الإسلامية بجانب القيم الأخرى التى يحملها ، والتى أشرنا إليها ، وبجانب أنه الحرف الذى كتب به التراث ، وتغييره يعنى الحيلولة بين الأمة وتراثها المجيد ؛ وقبل أن أعرض لمراحل هذه الدعوة ، سأذكر بعض اعترافات المستشرقين ونظرتهم للمخطط العربى ، تؤيد ما ذكرت حتى تستبين لنا أبعاد هذا المخطط ، ودوافعه التى عرضها بلا ريب أذئاب الصليبية ، وإن غاب أمرها - فى تقديرى - عن المقلدين .

يقول المستشرق الانجليزى « جب » عند كلامه عن الوحدة الإسلامية : « إن من أهم مظاهرها الحروف العربية التى تستعمل فى سائر العالم الإسلامى واللغة العربية التى هى لغته الثقافية الوحيدة ، والاشترك من الكلمات والاصطلاحات العربية الأصل »^(١)

(١) راجع كتابه (Whither Islam) أين يتجه الإسلام ص ٢٠ .

تقول مجلة « عالم المسلمين » وهي إحدى مجلات التنصير :
« لقد قام المتصّرون الألمان في شرق إفريقيا باستبدال الحرف
العربى الذى تكتب اللغة السواحلية إلى الحرف اللاتينى ، وذلك
كوسيلة لوقف الزحف الإسلامى ، ووقف عملية التعريب المستمرة
في هذه البلاد ، ويعتبر هذا التغيير ضربة قاسية للإسلام في شرق
إفريقيا » (١)

أما المستشرق الألمانى « كامفهاير » فيسره ما رآه في تركيا من
غياب السمى الإسلامى ، وذهاب اللغة العربية ، والحرف
العربى ، ويقول في شباته واضحة : إن قراءة القرآن العربى وكتب
الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال
الحروف اللاتينية بالحروف العربية » (٢) وقد سبق عند حديثنا عن
خصائص اللسان العربى أن أشرنا إلى كلمة المستشرق « ريتز »
الأستاذ بجامعة استانبول عن آثار التحول إلى الحرف اللاتينى في
تركيا .

هذه كلمات أضيفها إلى ما سبق في غير هذا المكان تكشف عن
نوايا القوم وهذه هى النتيجة ، يقول الدكتور حسن المعايرجى :
لقد رأيت بعينى أكواما من أمهات الكتب بالحرف العربى في إحدى
الدول الإسلامية يأكلها الإهمال والعفن ، لأنها لا تجد من يعرف
فك طلاسمها التى استغلقت على الجيل الجديد ، بعد أن كتبها
أباؤهم ، وأجدادهم ليورثوها لهم لهدايتهم ، فورثوا طلاسم

(١) العدد الثانى من المجلد الأول الصادر في أبريل سنة ١٩١١م ص ٢١٨ .

(٢) جاء هذا النص في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث ج ٢ ص ٣٦٥ .

وأحاجي ، وقطع السبيل بينهم وبين تراثهم»^(١)

ومن هنا بدأت الدعوة إلى إلغاء الحرف العربي ، واتهامه - ظلماً - بالصعوبة والتعقيد متزامنة مع الدعوى إلى العامية ، أو العامية الراقية (الوسيلة) ، لقد ظهرت هذه الدعوة أول ما ظهرت في كتاب القاضي الإنجليزي « سلون ولمور » الذي دعا فيه إلى العامية المصرية ، كما دعا معها إلى الحرف اللاتيني بدلا من الحرف العربي وكان ذلك عام ١٩٠١ م ، وهبت العاصفة الوطنية في وجه « ولمور » وكتابه مع أن كلمة المستشرق الأمريكي « ريتشارد لوتهيل » في استفتاء مجلة الهلال سنة ١٩٠٢ سفه كل دعوة إلى إلغاء الحرف العربي ، وعدها غبنا وغبثا ، لأنه حرف تكتب به شعوب كثيرة ، وقد سبق أن اقترح لطفى السيد ، « منشئ الوطنية الحديثة » كما كان يسميه سلامة موسى ، في عام ١٨٨٩ م اقتراحا عجبا ، وما أكثر عجائبه ومتناقضاته ، مقتضاه الدلالة بالحروف على الحركات أسوة باللغات الأوربية فتكتب « ضرب » هكذا : « ضارابا » ومحمد هكذا : « موحامادون » وهكذا ، عبقرية في التعقيد ، ولا ريب . وهذا الاقتراح اهتدى بضلاله الأب أنستاس فيما بعد لكن هذه الاقتراحات ذهبت كلها سدى .

وجاء مصطفى كمال فحمل الناس في تركيا على ما حملهم عليه من الأضاليل ، وكان في جملة ما ساءهم من الأباطيل استبدال

(١) مجلة الأمة ص ٥٠ عدد جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ .

الحروف اللاتينية بالحروف العربية^(١) فثارت الفتنة مرة أخرى وعاد الحديث بين الناس عن إصلاح الخط ، وخاضت فيه الصحافة ، وتحرك الأذئاب والمقلدون إلى الاقتداء بضلال مصطفى كمال ومناهجه العلمانية ، وفي غمرة الجدل والحوار سألت مجلة الهلال ثلاثة من المشتغلين بالدراسات العربية : هل ينبغي تغيير الحروف العربية ؟ وتلقت منهم إجاباتهم ، وقدم المحرر لإجاباتهم بقوله^(٢) :
وفد على مصر في الشهر الماضي العلامة اللغوي الأب أنستاس الكرملی ، فأتاحت الفرصة لأحد محرري الهلال الاجتماع به ، فدار الحديث حول شؤون كثيرة تتعلق باللغة العربية ، وكان أهم ما تناوله الحديث مسألة إصلاح الحروف العربية فأجبنا أن نطلع القراء عليها ، كما طلبنا إلى عالين جليلين أن يقولوا كلمتهما في هذا الموضوع أيضا ، وهما الأستاذ محمد فريد وجدی . والأستاذ محمد مسعود ، وسيرى القارئ في هذه الردود الثلاثة آراء مختلفة له أن يجذب منها ما شاء »

الأب أنستاس الكرملی

بدأ إجابته برفض فكرة الكتابة العربية بغير حروفها ، لأن ذلك يقطع الصلة بيننا وبين تراث الأجداد ، غير أنه اقترح وضع الحركات على هيئة حروف في صلب الكتابة كما أشار لطفى السيد

(١) راجع حاضرم العالم الإسلامى ج ٢ ص ٢٨٤ لوثروب ستودارد - ترجمة عمجاج نوبس مصر ١٩٢٥ والعدد الأول من مجلة الربطة - الشرقية - السنة الأولى - ص ١٣ .

(٢) مجلة الهلال سنة ١٩٢٢ ص ١٣٨٥ - ١٣٨٩ .

من قبل ، واقترح أشكالا جديدة للحركات الأوربية (a- u- e- o) التي لا نظير لها في العربية لتحل محل الحركات ؛ وهكذا انتهى مخالفا للرأى الذى قرره أولا .

أما الأستاذ محمد مسعود

فهو يعارض رأى الكرملى على طول الخط ، ويرى أن الحرف العربى تميز بالاختصار وأن أقل إلمام بقواعد اللغة يغنى القارئ عن الشكل الكامل ، ثم يتجه بالخطاب إلى أنستاس الكرملى قائلا :
دع كل أولئك ، وقل لى فيما لو أخذ بأسلوب الأب المحترم ، ماذا يكون الشأن بإزاء القرآن الكريم ؟ أيطبق عليه وهو حرم مقدس منيع لا تناوله طوارئ التبديل والتغيير ؟ أم لا يطبق فتكون فى اللغة العربية طريقتان ، لا ائتلاف بينهما ، ولا اتصال ، فتقطع بلغة العرب الأسباب ، ويتنام جدار القومية العربية ، وتحل أواصر الدين ، بل وتحمل معول الهدم والتدمير»^(١)

وأما الأستاذ محمد فريد وجدى

فكانت إجابته على غير المتوقع برغم صلته الوثيقة بالدراسات العربية والإسلامية فهو قد سلم بأن الكتابة العربية فى حاجة إلى تعديل ، حتى لا يذهب قراؤها مذاهب شتى فى القراءة ، وأشار إلى صعوبة الشكل على عمال المطابع ، وليس فى كلمته معارضة

(١) المرجع السابق وزاج الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ص ٣٧٨ .

صريحة للحروف اللاتينية ، ولا تأييد صريح ، وكأن في نفسه شيئا يخشى الجهر به .

المستشرق « نلليو »

وقف الرجل موقفا عادلا وأميناً من هذه القضية عجز عن مثله كثيرون من أبناء هذا اللسان . كتب مقالا عن « الحروف اللاتينية - هل تصلح لكتابة العربية ؟ »^(١) ، بدأ حديثه بتحليل الانقلاب التركي ، وشرح أهدافه ، بعد استبدال الحروف العربية وأن الهدف محاربة العنصر العرني والدين الإسلامي ، كما زعموا أن المدينة التركية أقدم المدن « فهي تتصل بالمدن البابلية والآشورية القديمة ، ولا اتصال لها بالتمدن الإسلامي ، ولهذا نجد حملة قوية تمثلت في كثير من المظاهر كإبطال الأحوال الشخصية ، وتطبيق القانون المدني السويسري ... والتزام مواعيد رمضان كالعادة ، وما إلى ذلك » ، ثم انتهى إلى معارضة اقتراح كتابة العربية بحروف لاتينية ، وقد أسس معارضته على الأسباب التالية :

١ - أن الخط العربي موافق لطبيعة اللغة العربية ، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية لتحتم علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية ، لكي تعبر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف : ج - ح - خ - ش - ط - ظ - ص - ض - ع - غ ولاحتجنا كذلك بين الحروف المتحركة المحدودة وبين الحروف المقصورة .

(١) الغلال عدد مارس ١٩٣٦ ذو الحجة ١٣٥٤ هـ ص ٥١٧ - ٥١٩ .

٢ - ومنها أن الخط العربى يمتاز بميزة فذة « فهو قريب مما يسمى بالاختزال ، والخط العربى ليس فى حاجة إلى اختزال ، لأن طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال »

٣ - ومنها أن استبدال الحرف اللاتينى بالحرف العربى يستتبع نتائج خطيرة « فكيف يكون مصير الكنوز العظيمة التى خلقتها الآداب الاسلامية فى الدين ، والفقه ، والفلسفة ، والعلوم ، والآداب ، والفنون ، وغيرها ، وكلها مدونة بالخط العربى وأمر كهذا فوق أنه خطر ، فهو متعذر ، لأن الحركات لها شأنها الكبير فى الخط العربى ، وهى غير كبيرة الأهمية فى اللاتينى ، ولأنه لا يمكن أن نتصور النفقات الطائلة التى تصرف فى هذا السبيل من غير جدوى ، وإذا افترضنا أن المنفعة فى إبدال الخط العربى ، لكان من الضرورى أن يسبق هذا اتفاق بين الشعوب الناطقة بالضاد ، ولو كانت مصر وحيدة فى اختيار الحروف اللاتينية ، فيكون هذا سبب انشقاق الوحدة العربية ، والآن مصر هى مركز الآداب والعلوم العربية فى العالم الاسلامى ، فاذا تغيرت الحروف العربية تخسر مصر هذا المركز الأدبى الممتاز »^(١)

هذا صوت مستشرق دارس للقضية جمع الحق والحكمة والانصاف جميعا ، وكأنه يقول للعملاء ، والمقلدين من أبناء هذا اللسان الذين عموا ، وغفلوا عن قيمة الحرف العربى حذار أن

(١) المرجع السابق . وراجع الاتجاهات الوطنية فى الأدب المعاصر ص ٣٨١ وما بعدها .

تتورطوا في هذا وإلا ارتكبتم جرما لا يغفر في حق أمتكم
ولسانكم ، ودينكم وتراثكم !!! ولكن ماذا تم ؟ وما النتيجة التي
انتهى إليها هذا الجدل ؟

أمر لا يخطر على البال !! يتورط مجمع الخالدين الذي أقيم
ليكون رداء يحمي اللسان العربي فيما اقترحه وأشار به أعداء هذا
اللسان وعملاؤهم ، ومقلدوهم من متفرنجة العصر ، المأخوذون
بحضارة الغرب حتى أصيبت بصائرهم ، ولا أقول أبصارهم فلم
يعودوا يدركون عظمة اللسان الذين يتآمرون عليه إن عمدا ، وإن
غفلة ، فيتقدم عبدالعزيز باشا فهمي ، وهو شيخ من شيوخ
المجمع ، وثالث ثلاثة وقفوا في وجه المعتمد البريطاني يطالبونه
باستقلال مصر ، يأتي هذه المرة ليقترح على المجلس اتخاذ الحروف
اللاتينية للكتابة العربية !!!^(١)

وتقع المفارقة الغريبة أن يبحث مجمع اللغة العربية عن الوسيلة
لضياع اللغة والتراث وينتهي الأمر بهم إلى ما هو أعجب ، ، يرصد
المجمع جائزة مقدارها ألف جنيه مصرى لصاحب أحسن طريقة
لتيسير الكتابة ، كان ذلك سنة ١٩٤٤ م ، وفي الفترة التي انعقد فيها
المجمع ، وقدم عبدالعزيز فهمي اقتراحه كتب الأستاذ طاهر الطناحي
مقالا ضافيا تحت عنوان : هل يمكن إصلاح الحروف العربية ؟ ،
تناول فيه أصول الكتابة العربية وتطورها ، والتراث الحافل الذي
كتب بها ، والحملات المعاصرة التي استهدفتها ، وختم

(١) تقدم عبدالعزيز فهمي بهذا الاقتراح إلى المجمع في جلسة ١٩٤٣/٥/٣ - راجع
الجزء السادس من مجلة المجمع في مواضع متفرقة - المطبعة الأميرية سنة ١٩٥١ .

مقاله المستفيض بالرد على اقتراح عبدالعزيز فهمي ، فكان مما قال :
« كذلك يقول الذين يميلون إلى تغيير الحروف العربية ، واستخدام
الحروف اللاتينية بدلها ، وفاتهم ما قدمناه في هذا الفصل من أن
الآداب والعلوم العربية كتبت منذ نحو ألف سنة بها ، وليس من
السهل إعادة طبعها كلها بالحروف اللاتينية ، سواء أكان في الأمة
المصرية وحدها أم في سائر الأمم التي كتبت آدابها وعلومها بالحروف
العربية ، والتي يبلغ عددها نحو ثلاثمائة مليون ... »

ثم أكد أن عملية تغيير الحرف - وإن نجحت بعض النجاح في
أمة لا تريد عن أربعة عشر مليوناً^(١) من الأتراك ليس لها بالحضارة
العربية صلة إلا صلة الدين فلن تنجح بين ملايين العرب
المسلمين^(٢) ، كانت المعركة إذن سجالات بين أعداء الحرف العربي
وأوليائه .

تطفو على السطح اقتراحات ضالة فييسر الله تعالى من يتصدى
لحقها والرد عليه أياً كان مصدرها ، وقد يكون الشهاب الثاقب بيد
أحد المستشرقين كما فعل « نلينو »^(٣) ، غير أن الضلال لم يتوقف
وفي الخمسينات يقدم يوسف أوغسطين طريقة جديدة لكتابة

(١) هو تعداد تركيا تقريباً أيام ثورة أتاتورك .

(٢) مقال الأستاذ طاهر أحمد الطناحي أول مايو سنة ١٩٤٣ ١٧ من المحرم ١٣٥٣
ص ٨٢٩ - ٨٣٣ - أخلال .

(٣) قدم الدكتور محمد محمد حسين موازنة بين الحرف العربي والانجليزي والفرنسي
تكشف عن أن الحرف العربي أبسرها جميعاً . والكسرة الطويلة فاست صور في
الانجليزية . وصورة واحدة في العربية . وما أكثر الحروف التي تكتب ولا تنطق في
الفرنسية والانجليزية وما أقلها في العربية راجع الاتجاهات الوطنية ص ٣٦٦ ج ٢ .

اللغة العربية ويقرر أن هذا الأمر خطر له منذ ربع قرن عندما رأى الطباعة المعقدة ، وما تسببه من غموض وارتباك ، ثم صرفته شواغله عن إنجاز فكرته ، ثم عادت وراودته عام ١٩٣٩ ، وعكف عليها وتفرغ لوضع قواعدها ، وانتهى منها سنة ١٩٤٦ ، وقدمها لمجمع اللغة العربية ، وهي لا تزال فكرة في مراحلها ، وعلى إثر ذلك أعلن المجمع عن الجائزة المشار إليها ، وتتلخص طريقته في إصلاح الطباعة العربية المعقدة الصعبة في الجمع ، حتى تصبح بسيطة ، سهلة ، وبعد أوغسطين طريقته تلك ثورة على فوضى الطباعة وما أشاعته من فساد في ألفاظ الضاد قراءة وتكلما حتى إنه ليقل بل يندر أن يوجد بين القارئ أو المتكلمين بالعربية من يستطيع أن يقرأ أو يرنجل الكلام ولا يقع في اللحن كثيرا أو قليلا . ثم يرى أن طريقته تعصم القارئ من اللحن والخطأ حتى ولو لم يكن فاهما ^(١) ؛ وليس تحت يدى أبعاد هذه الطريقة لتيسير الطباعة لنحكم على دورها في الحرب القائمة ضد الحرف العربي ، لكنني أتصورها بعيدة الى حد ما عن المخطط الرهيب ، وإن كانت هي في حد ذاتها إحدى نتائجه ؛ ولم يتوقف المخطط . ولكن تغير ميدان المواجهة ؛ وقف يوسف الخال في مؤتمر عقد بروما تحت اسم الأدب العربي المعاصر ، ودعى اليه دعاة التغريب ، وأذتاب الفكر الاستعماري الصليبي سنة ١٩٦٢ ليقول : « إننا نفكر بلغة ، ونتكلم بلغة ، ونكتب بلغة » !!! ^(٢) ، لا أرى حقدا على لغة ما يصل في التهوين

(١) مجلة الرسالة الجديدة ١٧ من أغسطس ١٩٥٧ .

(٢) الشعبية - أنور الجندي ص ٢١٦ .

بها ، والاقتراء عليها إلى المدى الذى وصلت إليه عبارة « الخال » ،
وفى سنة ١٩٦١ ، أى قبل المؤتمر المشار إليه بعام واحد كان سعيد
عقل قد كتب « يارة وشعر » باللهجة اللبنانية وبالحرف اللاتينى .^(١)
وقد أشرنا فيها مضى لهذا العمل المشبوه .

والشئ الذى أقرره هنا أن الدعوة إلى العامية أو اللغة الوسيطة
وإن أحرزت نجاحا محدودا فى بعض القطاعات كالمرح والسينما غير
أن الدعوة إلى تغيير الحرف لم يكتب لها القبول ، ولم تتأثر الجماهير
العربية بما سته أتانورك من سنة سيئة ، لكن غفلة الأمة العربية ،
وخطه الاستعمار الماكرة والحاكمة معا جعلت القوم ينجحون فى إيقاع
بعض الدول الاسلامية فى براثن الحرف اللاتينى ، وما كانت تعرف
سوى الحرف العربى مثل أندونيسيا وماليزيا ، والدول الإفريقية التى
وقعت تحت وطأة الاستعمار وما خبر تركيا ببعيد ؛ لكن العاقبة
للحرف العربى بإذن الله .

(١) المرجع السابق ص ٢٢٢ .

الفصل السادس

واتجهت السهام لضرب علوم الفصحى

١ - الدعوة إلى تجديد النحو والصرف

٢ - الدعوة إلى تغريب الأدب

لائخذُ حذو عصابةٍ مفتونة يجدون كلَّ قديمٍ شيءٍ منكرا
ولو استطاعوا في الجماع أنكروا من مات من أبائهم أو عمراً
من كل ماضٍ في القديم وهدمه وإذا تقدم للبنانية قَصراً
أحمد شوقي - قصيدة الأزهر الشوقيات ص ١ نشرت في مجلة
سركيس عدد يناير ١٩٢٥ .

الدعوة إلى تطوير العلوم اللسانية (النحو والصرف والبلاغة)

هي أسلوب جديد لضرب اللسان العربي عن طريق الاستهانة ، والاستخفاف بالعلوم التي نشأت منذ عشرات القرون لصيانتها ، وضبطه ، والمحافظة على عروبه ، واستقامة سليقته ليظل الكتاب العزيز - كما أراد له الله - مسيراً للذاكرين ، والمتدبرين ، وهذه العلوم نشأت وقد غذاها ونماها جهود أعلام العلماء على امتداد هذه القرون حتى غدا كل علم منها دوحة باسقة ، وارقة الظل ، دانية الثمر ؛ وكانت هذه العلوم تتطور تلقائياً حسب مقتضيات الزمن ، واجتهادات العلماء إلى ما ينتهى بها إلى ما هو أحسن وأقوم ، وأدنى إلى تحقيق الغاية منها فى الحفاظ على لسان الكتاب العزيز ؛ وهنا مفهوم لا بد من توضيحه ثمت فرق بين التطور ، والتطوير ، التطور يسير تلقائياً دون جهد مقصود حسب نوااميس الكون وسننه ؛ وأما التطوير فهو تدخل مقصود لتغير اتجاه حركة العلوم اللسانية بما يكفل تحقيق مآرب خاصة ؛ وعلى هذا النمط الأخير سارت اتجاهات العملاء والأذئاب لضرب اللغة عن طريق ضرب هذه العلوم ، والغض من قيمتها حتى تصبح اللغة قواعد مرعية . ولا أصول متبعة ؛ وطائفة المتفرنجة الذين صاغهم الاستعمار ، ومستشاروه من المستشرقين سواء فى مدارس التعليم

الأجنبي على أرض الوطن العربي أم في خارجه قد اسعجموا وضعفت ملكاتهم وفسدت فطرتهم ، ولذلك كانوا في نظر القوم أداة طيعة لتحقيق ما يريدون . وبدأت منذ أواخر القرن التاسع عشر ، وعلى امتداد النصف الأول من القرن العشرين التحركات المريبة ، والأصوات الكريهة تتذمر من قواعد النحو والصرف وتسخر مما وضعه العلماء من مقاييس وقواعد لها ، مع شكوى من صعوبته ، ومطالبة بالتخفيف منه .

يكتب سلامة موسى مؤرخا لحركة العداء ضد اللسان العربي ، وأنها قديمة ، وكأنه يقدم تبريرا لموقفه ، وأنه يقتدى فيه بضلال شياطينه الذين سبقوه على طريق البغي ، فيقول : « والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثا ، إذ يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة ^(١) حين نعى قاسم أمين على الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة ، « إن الأوربي يقرأ لكي يفهم ، أما نحن فنفهم لنقرأ » أو مامعناه ، وقد اقترح أن يلغى الإعراب ، فنسكن أواخر الكلمات كما يفعل الاتراك » ؛ فكان قاسم أمين أول من نادى بإلغاء الإعراب ليؤارى سواة عجمته .

وتتابعت الجهود الضالة من أجل تحقيق هذا الهدف تحت ستار الإصلاح ، أو التجديد أو نحوهما ^(٢) . ومما ساعدهما على الاستمرار

(١) جزء من مقال نشر في الهلال عدد يوليو ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ . ١٠٧٧ .
(٢) ذكر الأستاذ الزيات المتوفى سنة ١٩٦٨م في كتابه وحي الرسالة هذه القضية . وسمى هؤلاء الداعين إلى التخفيف من قواعد النحو والبلاغة « أنصار الساندويتش » . وقال : « يقول أنصار الساندويتش » في الأدب : إن قواعد اللغة قيود لا توافق حرية العصر . وأساليب البلاغة عوائق لا تجارى قراءة السرعة . وبدائع الفن شواغل لا تساعد على وفرة الانتاج . والواقع الأليم أن الذين درسوا لغتهم وفقهوها من الأدباء النابضين نر قليل تعد من أولئك من يؤلف الكتاب . ثم يدفعه إلى نحو يعبره وبهذه ..

في هذه الادعاءات - بعض الوقت - الأسلوب الذي كان عليه
تدريس هذه المواد في الأزهر ، والذي كان يقوم على تقديم كتب
التراث دون بمراعاة لمدارك الطالب الوافد إلى الأزهر الشريف ،
وليس له سابق معرفة بهذه العلوم ، لكن أيا ما كان الأمر فقد كان
الأزهر منطقيا مع نفسه ، لأن طلابه يأتون إليه وقد حفظوا القرآن
الكریم مجودا ، وهذا مستوى راق في الأداء اللساني يحول للطلاب
أن يقتحم هذه العلوم . وقد لا يتيسر له الفهم لفترة معينة لكنه لا
يلبث أن يفهم ، وأن يستمر . وقد خرج الأزهر أعلاما كبارا بهذا
الأسلوب الذي كان يطيب لمتفرجة العصر أن يتهجموا عليه .

ثم ظهرت حركة « إحياء النحو » وهو الكتاب الذي ألفه
الأستاذ إبراهيم مصطفى وقدم له الدكتور طه حسين ، مثنيا على
الجهود المبكرة الذي بذله صاحبه على طريق التجديد والإصلاح ؛
على أنه في تقديرى لم يخرج عن دائرة النحو العربى العريق إلا ببعض
المصطلحات ، أو التصورات التي رآها مثل : الضمة علامة
الإسناد ، والكسرة علامة الإضافة ، والفتحة هي الحركة الخفيفة
المستحبة عند العرب ، كما أنه حاول مزج بعض الأبواب النحوية
ببعض ، وهبت العاصفة على الكتاب ومؤلفه تسفه رأيه ، وأن
ما اقترحه ماهو إلا مجرد مسخ وتشويه لحقائق هذا العلم التي أرساها
أعلام العلماء ، على أن أحدا لم يأت بجديد ، وما من رأى طرح
على الساحة في هذا الصدد إلا وله سابقة على لسان واحد من
الأعلام القدماء ، ولم تلق قبولا ، ومابقي إلا الصحيح .
ما أرانا نقول إلا معارا أو معارا من لفظنا مكرورا

لكن أفكار إبراهيم مصطفى كانت نواة لحركة تالية ، وهى حركة
تثير السخرية والأسى جميعا ، قيل : إنها حركة تيسير النحو ، أو
النحو الجديد بقيادة الدكتور طه حسين ، ود. عبدالعزيز القوصى ،
وإبراهيم مصطفى ، تحصر القواعد النحوية تحت هذه المسميات :
المسند ، والمسند اليه ، والمكملات ، فالفعل والخبر سواء ، والفاعل
والمبتدأ سواء ، وكل المنصوب من المفاعيل الخمسة ومعها الحال
والتمييز والمسثنى بإلا سواء .

وهكذا ضاع النحو تماما . بل هناك نتيجة أخرى لهذا الاتجاه
قد تكون أشد ضراوة من العامة وهى اختلاف المصطلحات
النحوية بين أبناء الأمة الواحدة مما ينذر بتمزق وشيك الوقوع .
فماذا حدث ؟ طبعت على هذه الطريقة كتب . وطبقت على
وزارة التربية والتعليم فى مصر أوائل الستينات ، ثم قضى عليها تماما
بعد ما ظهرت آثارها الرهيبة بهبوط مستوى المتعلمين ، الذى
استمرت آثاره حتى الآن . وكفى الله المؤمنين القتال .

لقد أمعن المتفرنجة فى حرب (النحو والصرف) فكانوا
يسخرون من كل مستمسك بلسانه الفصيح ، ينأى عن اللحن ،
ويحسن ضبط العبارة ، ليضعوه فى صورة الرجعى المتخلف . وقد
يقال : عنه إنه « يرطن بالثَّحَوَى » وقد يقول آخر أنا لا أحسن لغة
« سيويه » !! ولو عقلوا لعرفوا أن شخصية سيويه صورة لمقدرة
لسان هذه الأمة ، وسحره المؤثر ، فإن سيويه كان فارسي
الأصل ، ثم أصبح إماما فى إرساء القواعد لهذا اللسان ؟
إن القواعد النحوية فى تقديرى ليست فى حاجة إلى تطوير كما

يزعم بعض الناس ، إنها تراث ضخم وعظيم قام على قواعد ثابتة ، وقوانين راسخة ، ومناهج علمية سديدة ، أثبتت صلاحيتها على مدى ألف عام ولا تزال . وأئمة الفكر والدين والأدب واللغة في هذا العصر ثمرة هذه الدراسات ؛ فهاذا يأخذون على النحو؟ كثرة الشواذ المخالفة للقاعدة حتى قالوا : النحو لا يخطئ أبداً !!! الإسراف في العوامل النحوية . والإمعان في التعليقات !!!

أما الأولى فهي في تصوري برهان على ما يتمتع به اللسان من إمكانيات . ولأن قدماء النحاة نقلوا لغات القبائل جميعا وقد يكون لبعضها خصائص محلية أهملت عندما سارت لغة قريش ، ونزل بها القرآن الكريم ، . يقول الدكتور محمد محمد حسين : يقولون : إن الشاذ منها من غير القياس كثير ، والشذوذ في صيغ الأفعال . وفي صيغ الجمع ، والتأنيث ، وفي المصادر بدلاً اللغات الأوربية كلها . والشواهد عليه لا تحصى^(١) فهاذا يقول المفتونون ؟! مرة أخرى :

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر الفم طعم الماء من سقم
وأما الأخرى ..

فإن العلل النحوية والعوامل يمكن استئثارهما . على أساس أنهما وسائل تربوية لتثبيت القواعد في أذهان الناشئة . والمطلوب منا هو أن نتعرف على القدر الكافي من هذه القواعد الذي من شأنه أن

(١) الاتجاهات الوضعية ج ٢ ص ٣٦٦ .

يقوم ألسنة النشء العربى ، فتقدمه لهم كما هو فى ظلال دراسة أدبية شائقة . ومن واقع نصوص من عصور ازدهار الأدب ، وما أكثرها !! على أنه فى أثناء الغبار المثار ضد النحو وقواعده من العاجزين عنه ، أو الراغبين فى تغيير القديم لأنه قديم ظهر كتابان لعلى الجارم وزميله رحمهما الله هما : النحو الواضح ، والبلاغة الواضحة . قدما هذين العلمين العريقين لأبناء الأمة العربية فى صياغة جميلة ، وفى ظلال شواهد من التراث الفصيح مما جعل الكثيرين من جمهرة هذه الأمة يستمسكون بهما إلى اليوم . ولم تسلم علوم البلاغة العربية من الهجمات الشرسة .

أليست ناشئة فى رحاب الكتاب العزيز ، كاشفة عن عظمة آيته ، وروائع نظمه ومعجز بلاغته ؟!

أليست من العلوم التى تبرز قيمة هذا اللسان وقدرته ؟!! إن هذين كافيان لأن تلقى ما تستحقه من العداء ، والأزهر نفسه تلقى ماتلقى من عداء المتفرنجة ، لأنه ظل حفيظا على هذا التراث وخياله إلى حد كبير ، وإن كانت له هفوات فلن تنقص من قدره ؛ لأن القائمين عليه من البشر الذين لا يتزهون عن الغفلة أو الخطأ ، أو مغالبة الهوى .

لقد قالوا : إن هؤلاء يمعنون فى دراسة الاستعارات والتشبيهات والكنائيات ، والإيجاز والإطناب ، والفصل والوصل ، ولا يحسن الواحد منهم كتابة رسالة !! . وهذا الأمر لا ذنب لهم فيه ، لأنها ظروف العصر الذى أقفرت فيه رياض الأدب وضوح نبته على صعيد الأمة العربية فى العصر العباسى الذى حورت فيه

اللغة العربية ، لكن حسب هؤلاء أنهم في ظلام المحنة استمسكوا بالتراث اللغوي يرددونه ، ويتلقاه المتعلمون جيلا بعد جيل ، ولو لم يفعلوا ذلك لأتيحت فرص شتى لدعاة التغريب ليحققوا بعض أهدافهم الباغية .

إني أشعر بقدر كبير من الأسى وأنا أقرأ بعض مذكرات شيخ الأمانة أمين الخولي وهو يتخذ منهاجاً غربياً يعده تجديدًا في ميدان البلاغة والأدب ، فيقدم القرآن وتفسيره بعبارات عامية مبتذلة ، يقول في شرح قوله تعالى : ﴿ وما أنت بمسمع من في القبور . إن أنت إلا نذير ﴾ « إنت مش حتسمع اللي في القبور ، والحقيقة أنه مش قدام أموات ، وإنما قدام ناس ألواح وبهايم ، والقرآن يقول له : إنك حريص قوى على هدايتهم ، الأحسن أنك ما تحرصش كثير على هذه الهداية ، قال ذلك ، لأنه شاف أنه لفرط عنايته بأن يهتدى هؤلاء القوم أن يخرج عن حده فينسى أن مهمته التبليغ ، هو عمال يحرق في دمه مع اناس دول ، ووفائوه لمهمته هو الذى يحمله على الإسراف فى الإلحاح ، ويهز فى هذه الألواح ، ويحاول أن يبعث فيهم نفحة من الهداية بأى ثمن ، فقال له الله : يا أخى إنت حارق نفسك ليه ... » ^(١)

عجبا يا شيخ الأمانة !! عفا الله عنك ، ولعلها منك محاولة لتفهيم طلابك فى كلية الآداب الذين أحسست فيهم عجمة ، ولم

(١) هذا النص من كتاب الشعبية فى الأدب العربى الحديث - أنور الجندى . ويذكر المؤلف أن الكراسة التى بها هذه المذكرات حصل عليها الشيخ على العمارى من بعض طلبة كلية الآداب .

يكن هذا فى خطتك !!! ، لكنى أقول : أهذا هو التجديد فى
البلاغة ؟! لقد وضعت يدك مع الأيدى المشبوهة التى حملت إثم
الدعوة إلى العامية والابتذال ، لتقطع أواصر هذه الأمة !! انها
استهانة بالغة بالكتاب العزيز ، وبأسلوبه الفصيح ، واستهانة بطلاب
العلم الذين جلسوا أمامك ليسمعوا منك هذا الكلام .

ما أتصور الشيخ أمين - رحمه الله - فى مقالته تلك إلا أنه
جالس على « مصطبة » جلسة مُعَيَّب ، يجر أنفاسا عميقة من
ترجيلته ، يفضى بين الحين والحين بهذه الكلمات ؛ على أنك فى
قلت وضعت العامية فى موضعها الصحيح ، وأثبت من حيث تريد
أولا تريد عِيَّهَا وعجزها وقصورها ، لأنك فى شرح نصف سطر من
كتاب الله قدمت نحو عشرة سطور ، تلف وتدور ، تحاول أن
تستخرج المعانى التى توحى بها الكلمات الفصيحة ، فذكرت
عبارات عامية ومبتذلة كثيرة . عفا الله عنك مرة أخرى ، ونرجو ألا
يكون وراء ما قلت قصد سوء ، لأن العبارات التى قلت لا تطاق .
على أن كل هذه المحاولات ذهبت أدراج الرياح ، وفشل
أصحابها فى الحصول على قرار من المجامع اللغوية ، كما فشلت فى
التطبيق عندما أتيح ذلك فى أوائل الثورة المصرية عندما اندفع
الفارغون إلى الجديد على أى صورة ، مستغلين حماسة وحداثة
القادة من أبناء الجيش الذين لم يكونوا ليدركوا من أول الأمر هذه
الحفايا ، والخبايا ، وآخر المطاف لهؤلاء الناقمين تمخض عن هذا
العمل ؛ استصدر قسم اللغة العربية بإحدى كليات الآداب قرارا
بإنشاء شعبة ، سبأها (شعبة الدراسات العربية الحديثة) أخلى

الدراسة فيها من النحو والصرف ، والبلاغة ، والشعر العربى ،
والتاريخ الاسلامى ، والقرآن ، والحديث ، وجعل مكان ذلك
كله : دراسات لغوية حديثة ، التطور اللغوى العربى فى العصر
الحديث - اللهجات العربية الحديثة - الأدب الشعبى - المذاهب
الفكرية فى الآداب الأوربية - مدرسة القصة - تطور الفكر
الإسلامى الحديث .^(١)

ولا أدرى ماذا يكون تكوين الطالب المسكين الذى يقضى عليه
بأن يدرس لغة قومه فى ظلال هذه الشعبة !!! بلا ريب سيكون
أعجمى اللسان ، غرى التفكير ، ضعيف الدين مدخول العقيدة ،
محصوله من العلم أمشاج من الثقافة الهزيلة الباطلة التى ترزعزع فيه كل
إحساس بالانتماء نحو العروبة والإسلام ، وتلك هى الغاية التى
يتوفر عليها المخططون الكبار فى أوكار الضلال لخدمة الصليبية
والصهيونية من حيث يريدون أو لا يريدون ، كما سبق لهم أن اتهموا
الأزهر بالجمود ، وأن رجاله لن يستطيعوا أن يقدموا للناس الدين
المساير لركب الحياة ، الدين الذى يبارك نزواتهم ، وضلالاتهم
ففوجئنا بأعضاء لجنة التربية الدينية بوزارة التربية والتعليم تقترح
إنشاء شعبة للدراسات الإسلامية فى كليات الآداب لتخريج
مدرس الدين الإسلامى المرن الذى يستطيع أن يساير الزمن^(٢)
وتبوء كل هذه المحاولات بالفشل وترتد الحياة مرة أخرى إلى
جحورها ، انتظارا لفرصة أخرى ، أو بحثا عن أسلوب آخر ، لكن

(١) الشعبية فى الأدب الحديث ص ١١٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١١٤ .

امكانات نجاحها ضئيلة ، نظرا لإقبال الأمة في الآونة الأخيرة على تراثها وتعدد مراكز احياء التراث ما بين القاهرة وبغداد ودمشق ، والرياض ، ومكة ، والمدينة ، وغيرها .

تغريب الأدب

تميز اللسان العربي بالأدب الصادق ، الكاشف عن خلجات النفس ، الوفي بمطالب البيئة ، المسجل للقيم ، والمفاخر ، والمثل ، والرافض للسفاسف والردائل .

وكان الشعر هو جوهر النشاط الأدبي قبل الإسلام ، يحتل أسمى مكانة ، وينزل من القلوب أعظم منزل . والشعراء في القبائل هم الرواد والموجهون والقوة المعنوية التي تعتز بها القبيلة عندما ينبغ فيها شاعر ، تتخذ من يوم نبوغه عيداً لها . ذلك لأن الشعر ديوان العرب ، وسجل مفاخرهم وأمجادهم .

وعمود الشعر العربي ، المتمثل في الوزن والقافية سمة لها دلالتها على إمكانات هذا اللسان وقدرته على غزو القلوب بوسائل شتى ؛ وعندما ظهرت فنون أدبية أخرى بجوار الشعر منذ أشرقت شمس الاسلام لم تلحق به ضيماً بل ظل على مكانته المرموقة وأثره البالغ في النفوس ، واستمع الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الحسناء ، وهي تقول مراثيها في الجاهلية لأخيها صخر ، ويقول لها : إيه يا خناس !!! وقال كعب بن زهير قصيدته « بانت سعاد » تائباً ومعتذراً ، فغفا عنه الرسول عليه الصلاة والسلام وألقى عليه برده ؛ واشترك الشعر في المعارك الإسلامية على لسان حسان

وعبدالله بن رواحة وغيرهما ، إن الشعر العربى منذ كان بسمته
وخصائصه قيمة كبيرة مؤثرة .

إنه صورة لوضع العربى ، وصفاء ذهنه ، وبساطة طبعه ،
شأن سمائه الصافية ، وشمسه المشرقة ، إن الشعر العربى قيم
ومبادئ ، وترانيم معبرة عن الحياة المستمرة ، قال الشاعر العربى
القديم ابوتمام :

ولولا خلال سنها الشعر ماردى بناء العلا من أين تبنى المكارم
وقال الشاعر الحديث شوقى :

كان شعرى الغناء فى فرح الشرق وكان البكاء فى أحزانه
والشعر العربى وعى الكثير من مفردات اللغة ، وألفاظها ،
وتعبيراتها المتنوعة حتى كان ابن عباس رضى الله عنه - كما أسلفنا -
يتحاكم إليه فى فهم بعض المفردات القرآنية ، وموسيقا الشعر
العربى عنصر هام فى تكوينه ؛ ومن أجل هذا كان فى خطة أعداء
اللسان العربى تغريب الأدب : خطوة فى الطريق إلى ضياعه ،
وإذهاب ملامحه ، وسماته ، وتوفرت الجهود على ضرب الشعر
العربى بخاصة ، ديوان المفاخر ، وسجل القيم وكنانة الألفاظ ،
والمفردات ، وراعمهم ، وزلزل كيانهم عودة الروح إليه على يد
البارودى ورفاقه ومن داروا فى فلكه ، محافظين على عمود الشعر
مثل اسباعيل صبرى ، وشوقى وحافظ ومطران^(١) ، ومحمد

(١) اتجه مطران فى مطالع القرن العشرين إلى الرومانسية فى مضمون القصيدة متأثراً
بثقافته الفرنسية الواسعة . لكنه حافظ على عمود الشعر . وفصاحة العبارة . ومن
هنا عدده فى كوكبه البارودى

عبد المطلب ، ولذلك رسموا الخطة المحكمة العُرى لضربه واتخذوا
لذلك وسائل عدة :

منها دفع الأدباء لمحاكاة الأدب الأوربي وتقليده ، والدوران في
فلك مدارسه فرأينا شعراءنا منهم الكلاسيكيون ، والرومانسيون ،
وأصحاب المدرسة الجديدة ، وهذه المدارس قائمة في أوربا
بالبواعث خاصة ، فالكلاسيكية لها ظروفها في مصر طغيان
الكنيسة ، والرومانسية لها ظروفها التي دفعت الأدباء إلى الهروب
من الواقع والتهويم في خيالات غامضة لا توصل إلى شيء .

لم يحدث في تاريخ أمتنا طغيان ديني أو روحى يصادر الحرية
والعلم ، وبحكم بسيادة الخرافة والسذاجة والجهل ، وبيع صكوك
العفوان ، وأمتنا لا تجيد التهويم في الغموض والسير في سراديب
الرمز .

لكن موجه التفرنج طغت ، والتأثر بمقاييس النقد الأوربي
استحكمت ، فوقع كثير من شعرائنا في شرك الضلال ، ولم يكتفوا
بهذا بل أخذوا يتندرون بمن استمسكوا بعمود الشعر العربى لا
يرحونه ، وحققوا جزءا كبيرا من مخططهم ، وخفت صوت الشعر
العمودى بعد شوقى وحافظ ، وكان هذا الهبوط المفاجئ بعد
سنوات مزدهرة ، كان الشعر فيها صاحب الصولة والمكانة على
الساحة الأدبية ، يصور آلام الأمة العربية والإسلامية وآمالها ،
ويحارب معها أعداءها المتربصين بها - ظاهرة بالغة السوء في مسيرة
أمتنا ، ولم تأت عفوا كما أسلفنا ، وإنما خطط لها بإمعان وإتقان .
لقد أعلن لويس عوض نعى الشعر العمودى في سرور لم يستطع

إخفاء معلمه ، وشبابة لم ينجح في كبح مظاهرها قال في مستهل كتابه : « بلوتولند وقصائد أخرى » وكتب تحته « من شعر الخاصة » : لقد مات الشعر العربى ، مات عام ١٩٣٣ ، مات بموت أحمد شوقى ، مات ميتة الأبد . مات !! ومن الملاحظ أنه أهدى كتابه هذا إلى « كريستوفر سكيف » وذلك سنة ١٩٤٧ و« سكيف » كما يقول الشيخ محمد شاكر كان أستاذاً في كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، وأنه كان جاسوساً محترفاً في وزارة الاستعمار البريطانية ، وأنه كان مبشراً ثقافياً ، شديد الصفاقة ، سئى الأدب ، ماكراً خبيثاً ، خسيس الطباع ، يفرق بين طلبة القسم الانجليزى في الجامعة ^(١)

سعد القوم إذن بهذا الانحدار المفاجئ للشعر العمودى ، ولم تكن سعادتهم لأن فناً أدبياً لا يريدونه ، ولا قبل لهم بإمكاناته الفنية قد اختفى ، ولكن لأن اختفائه يعنى اختفاء أعظم أوعية اللسان العربى ، والقيثارة التى تشد القلوب الفتية إلى البطولة ، ومقارعة دهاة الاعداء ، لقد حاولوا فيما حاولوا الدعوة إلى آداب إقليمية لتمزيق الأمة أدبياً ولسانياً ، كما تمزقت سياسياً ، وذهبت دعوتهم أدراج الرياح ، فدعوا إلى ما يسمى « بالشعر الحر » والحرية فى معناها العظيم أسمى من أن يُفحَم اسمها الكريم فى هذا الضلال ، وأن تكون وصفاً لهذا التهافت ، والعجز الفنى الذى أريد به طعن الفصحى ، والتدلى بطريق غير مباشر إلى وهدة العامة ،

(١) راجع أباطيل وأسفار - الشيخ محمود شاكر .

أو اللغة المتوسطة على حد تعبيرهم ، إن هذا الشعر لون من الضياع الفني ، لا تجد فيه لفظة جزلة ، أو كلمة موحية أو نسجا محكما ، ومبلغ ما يصل اليه هذا الشعر أنه يسع الانسياب العاطفي ، والغموض المريب ، والرمزية المزدولة . إنه دخيل على طباع هذه الأمة الذي لا يعرف فيها إلا القوة والأصالة والوضوح ، وأن يوظف فيها في خدمة أهدافها الكريمة ، هل يمكن أن تجد إنسانا تهزه الأريحية عندما يسمع هذا الشعر ، كما كان يحدث في العصور الأولى من الخلفاء وكبار القوم ؟!! أو كما يستقبل عامة الناس في العالم العربي شعر شوقي وحافظ ؟!!

إن كثيرا من العامة يتمثلون بشعر شوقي وحافظ مع مكائنها في الفصحى ، لأنهم يجدون أنفسهم ، ونبض أحاسيسهم مع أوزان الشعر وقوافيه ، ومعانيه الكريمة ، وحكمه الصادقة ، ولأجل هذا فإنى أرى أن حركة النقد العنيف التي قام بها رواد مدرسة الديوان المتأثرون في نقدهم بأوربا ضد شوقي وحافظ والمنفلوطى - برغم محافظتهم على عمود الشعر إلى حد ما - كانت عاملا مساعدا لأعداء الفصحى والشعر العمودى !! قال شوقي في رثائه للمنفلوطى مشيرا لحملة النقد الظالمة ضد مدرسة النهضة التي سارت في فلك البارودى .

فإذا مضى الجليل المراض صدوره	وأنى السليم جوانب الأضلاع
فافزع إلى حكم الزمان فعنده	حكم تجرد عن هوى ونزاع
فجع البيان وأهله بمصّور	لبق بوشى المبدعات صناع
تخيل المنظوم فى منشوره	فتراه تحت روائع الأسجاع

ثم ماذا كان البديل ؟ القصة والمسرحية نشطت تماما في غياب الشعر ، وكثر القصاصون وأتيحت الفرصة للحديث عن لغة القصة والمسرح ... ووجد دعاة الهدم المجال مهيئا لأن يعيدوا القول بالدعوة إلى العامية ، واللغة المتوسطة ؛ ووراء هذا مكسب كبير لدعاة التغريب .

إن الأمر لن يقف عند حد ضرب اللسان العربى ، والشعر العمودى بل ستضرب معها الأخلاق الإسلامية ، وهذا أمر داخل فى حسابهم .

إن القصة ستكون مجالا لإذاعة الخيال الأوربى فى هذه الأمة ، ولتقديم ما فى مدنيتهما من تهتك ، ومجون ، وخلاعة ، وغرقنا إلى الأذقان ، وقلنا إن أدبنا العربى قد حصل على مكسب كبير ، ف لأول مرة - بفضل الأدب الأوربى - عرف أدبنا فن القصة ، و ضللنا ضلالا بعيدا ، غفلنا عما وراء القصة من مذبة الشعر العمودى ، وفساد الأخلاق ، ونسينا أننا أول من عرف القصة التى تصوغ الواقع بصدق ، وتصون الأخلاق ، كما عرف العرب لونا من القصص قائما على الافتراض والتخيل لخدمة القيم التى تعتر بها الأمة ، لأجل هذا قال رب العالمين لنبيه الكريم : ﴿ نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ﴾ وقال : ﴿ إن هذا هو القصص الحق ﴾

ولفظ القصة عند العرب : تَتَّبِعُ للواقع من قص الأثر أى تتبعه بينما هى عند الأوربيين بعد عن الواقع حقا كان أو باطلا لأن

(STORY) وهو لفظ قصة عندهم تحريف للفظ أسطورة^(١) وكان وراء شيوع القصة في أدبنا تقليد للقوم - كما قلنا - وضياح للأخلاق ، واستغلال سئ لأدوات الحضارة من (السينما والفيديو والتلفزيون) بجانب الضياح اللغوى والحرب المعلنة على الفصحى ، قد يظن بعض الناس أن ما قلته مجرد تصورات وتفسيرات من إنسان ممنوع في محافظته ولكن سأقدم شواهد من آراء الآخرين ، ومن عاشوا طلائع هذا الفساد .

يقول الدكتور محمد محمد حسين : وقد كانت القصة هي أبرز ما استحدث من فنون الأدب بعد الحرب العالمية الاولى ، ولم تلبث أن طغت على سائر فنون الأدب ، حتى أحملت الشعر ، أو كادت . ورجبت بها الصحف على اختلاف ألوانها ، وجعل لها الكثير منها بابا من أبوابها الثابتة استجابة لرغبات جمهور القراء الذين أقبلوا عليها إقبالا شديدا لا سيما بعد أن هجر الناس اللغة الفصحى التي لا يستطيعونها إلا المثقفون إلى لغة الأسواق التي لا يتميز فيها عالم من جاهل ثم يختم هذه الفقرة بقوله : « حتى أصبحت القصة أشد خطورة من الكوكايين والحشيش والأفيون ، وصار من أبشع وسائل الإفساد والإغواء والهدم ، بعد أن انتقل ميدانها إلى الخيالة والسينما »^(٢)

ويقول الأستاذ أنور الجندى : بدأت في هذه المرحلة محاولات إدخال مفهوم للقصة ، تختلف عن المفهوم الإسلامى الأصيل

(١) الانجاهات الوطنية ص ٣٥٤ . ٣٥٥ .

(٢) القصص القرآنى في مواجهة أدب العفة والمسرح للأستاذ أحمد موسى سالم .

يعتمد على النقل والترجمة ، ويستمد من عقيدة تقوم على الخطيئة والمأساة ، والكشف والإباحة ، وقد قام هذا المفهوم على ترجمة القصة الغربية أولا ، ثم إلى تأليف قصة أو مسرحية تجرى ذلك المجرى دون تقدير للفوارق العميقة بين المفهوم الإسلامى للقصة الذى يقوم على الصدق ، والخلق ، ويعزف عن الرموز والغموض ، مع البعد عن الخرافات والوثنيات»^(١)

وسر هذا فى تقديرى أن الواقع العربى الإسلامى على امتداد تاريخ هذه الأمة حافل بالقيم النادرة التى تحكى وتقص ، بينا الواقع الأوروبى لا يجد المثل إلا فى شطحات الخيال . هذا إذا كان الخيال صحيحا فإذا مرض افتقد القيم فى الواقع وفى الخيال جميعا ؛ لقد سرت فى هذه الآونة دعوة صريحة للأدب المكشوف تحت شعار حرية الأديب ، فى التعبير عن خواطره ، وتصويرها لإمتاعنا بها ... وهذه مغالطة !! لأن الجمال والإمتاع إذا أردناهما قيا فاضلة لا ينفصلان عن الاخلاق .

يقول الدكتور طه حسين : فالأدباء عندنا ليسوا احرارا لا بالقياس إلى الدولة ، ولا بالقياس إلى القراء ، وما أكثر النبوغ الذى يضيع ويذهب هدرا ، لأنه يكظم نفسه ، ويكرهها على الاعراض عن الإنتاج خوفا من الدولة ، أو خوفا من القراء ، فليس كل موضوع يعرض للأديب عندنا تسيغه القوانين ، ويحتمله النظام ، ويرضى عنه ذوق الجمهور .» ثم يصف مصير الأدباء لو

(١) الشعبية ص ١٤٠ .

نفذوا مقال ، وقالوا أدبا مكشوفاً يصف دخائل النفس كزملاتهم الأوربيين » دعهم يفعلوا ذلك ، ثم انتظر ما يصب عليهم الجمهور ، ورجال الدين ، وإدارة الأمن العام والنيابة من المكروه . يجب أن يحرر الأدب والأدباء ، وأن يتاح لهم القول في كل ما يشعرون به ، ويجدون الحاجة إلى القول فيه ، ويجب أن تكون قوانيننا سمحاء ، وأن يكون تطبيقها سمحاً ، وأن يكون ذوق الجمهور عندنا كذلك ^(١) ، وبلا ريب في ظلال هذه السباحة التي ينادى بها الدكتور طه حسين تضعيق مقاييس الأخلاق في هذه الأمة ، وهذا يصور لنا طبيعة الجو الذي كانت فيه القصة فساء بعد أن خفت صوت الشعر ، وقد تصدى لهذا الاتجاه الذي أعلنه طه حسين ثلثة من الكتاب الغيّر على أخلاق هذه الأمة وأمجادها . يقول الأستاذ الدكتور محمد أحمد الغمراوي في كتابه : النقد التحليلي لكتاب في الأدب الجاهلي : « خذ إليك مثلاً تلك القصص الفرنسية التي يترجمها صاحب الكتاب ^(٢) من آن لآن ، يلهي بها كثيراً من النشء ، ويضل بها كثيراً ، هل ترى بينها وبين روح هذه الأمة صلة ؟ أو بينها وبين روح هذه اللغة صلة ؟ وإذا لم يكن فهل فيها شيء يحدد من عناصر الفضيلة ، والطهارة الروحية في هذه الأمة ، ويعينها على سبيل العزة التي تريد ؟ إنا لا نظن أحداً دخل تلك

(١) مستقبل الثقافة في مصر ص ٣٨٠ . ص ٣٨١ وراجع مقالاً في مهاجمة الأدب الهدام للأستاذ محمد توفيق دياب نشرته السياسة الأسبوعية بتاريخ ١٩٢٧/١١/٢٦ . ورد حافظ محمود عليه في العدد التالي ١٩٢٧/١٢/٣ . وتعقيب الأستاذ دياب في العدد نفسه .

(٢) د . طه حسين .

القصص ، وخرج منها ، وهو أقرب إلى الفضيلة والعفاف منه قبل بدئها »^(١)

ويقول الأستاذ محمد توفيق دياب في مقال له بعنوان : الأدب الماجن مفسدة الناشئين : ألا تدري ماذا أريد بالأدب الماجن ياسيدى القارئ ؟ تلك الرواية التى يكتبها الكاتب ويمثلها الممثل ، فيقرأها أُلوف ، ويشهدها أُلوف ، وتدور كل حوادثها حول محور واحد هو الصلة بين الرجل والمرأة ، ولكن أية صلة ؟ أبعدُ الصلات عن الشرف وعن العفاف وعن احترام الحرمات التى لولاها ما كانت الإنسانية جديرة باسمها .. ثم يقول : « هذا النوع من آثار بعض الكتاب هو مانسميه بالأدب الماجن ، وإنما تتجاوز فنسميه أدبا ، لأنه كثيرا مايعزى إلى كتاب حاذقين ، بعضهم من أئمة البيان ، فهم أدباء من حيث انتسابهم للكتابة ، لا من حيث اتصافهم بالأخلاق الفاضلة ، وأكثر ماتكون هذه النزعة الشهوية فى طائفة من كتاب الأمم اللاتينية » ثم يقول : « ونحن لم نكن لنعنى بهذا الصنف من الأدب اللاتينى لولا أن عداوة قد سرت سريانا حثيثا فى آدابنا الحديثة تقليدا ، أو تعريبا ، فأصبحنا فى كل يوم ، تتقاذف إلى أيدينا عشرات من القصص القصيرة ، والطويلة ، والروايات التمثيلية ، والنكات الفكاهية ، وكلها مجارة ومباراة لتلك الظاهرة الفاضحة »^(٢)

هذه هى القصة التى أرادها القوم خليفة للشعر العمودى

(١) راجع ص ٤٦ . ص ٤٧ من الكتاب المذكور .

(٢) نشر المقال بالسياسة الأسبوعية ٢٢ أبريل ١٩٢٧ .

فكانت أسوأ خلف لخير سلف ، وإذا كانت الوسائل التي
اصطنعها القوم لضرب اللسان العربى فشلت فى ميادين عدة فإنها فى
ميدان تغريب الأدب أحرزت نجاحا لا يستهان به ، خفت صوت
الشعر العمودى ، وتعرض المستمسكون به لحمالات ضارية ،
انتشرت المذاهب الأوربية فى الأدب العربى دون مسوغ مقبول ،
حتى أصبحنا نتحاكم إلى مقاييسهم فى النقد ، ظهرت القصة
لتكون ميدانا للقضاء على أخلاق الأمة وأعرافها القويمة ، وليعاد
عن طريقها ممارسة العامية ، وأصبح على ساحتنا أدب لا يخدم
أهدافنا إلا قليلا ، لكنه خدم العامية كثيرا ، وخدم ضياع الأخلاق
أكثر ، وحارب لغة الكتاب العزيز أكثر وأكثر ، وبرغم هذا كله لا
يزال اللسان العربى شامخا ، وسيظل كذلك يتحدى !!!

﴿ كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون ﴾

﴿ إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ﴾

هكذا اللسان العربى بشهادة الكتاب الحق لسان العلم ووعاء

العقل .

الخاتمة

وماذا بعد ؟ اللسان العرني يتحدى !!

● حقائق ونتائج

● طريق العودة

﴿ قد خلت من قبلكم سنن ، فسيروا في الأرض فانظروا
كيف كان عاقبة المكذبين ﴾
قرآن كريم (سورة آل عمران/ ١٣٧)

حقائق ونتائج

بعد هذه الرحلة الطويلة عبر قرن من الزمان نرصد فيه حربا عاتية وجهت إلى الفصحى في مراحل مختلفة ، متتابعة وفي ظروف متشابهة وأولياء هذه الحرب أصحاب اتجاهات مختلفة لكنهم جميعا تلاقت وسائلهم عند غاية واحدة .. هي ضرب الفصحى ... ظهرت لنا خلال هذه الرحلة حقائق ذات بال ، كما وضحت لنا نتائج هامة تعيننا على تلمس السبيل نحو العودة الصادقة إلى أجداد خالدة .

من هذه الحقائق :

١ - للقوم أهداف واضحة وراء الحملة الضارية تنحصر فيما يأتي :

(أ) تحويل الإسلام من سلوك واقع إلى مجرد تراث نحتق به في المناسبات .

(ب) تحويل القرآن إلى مُتَحَف عندما يستعجم اللسان ، ونعجز عن الفهم ، ويترك أمره لقلّة متخصصة ، أو نستجيب لواقع يخططون له ، فنكتبه بالعامية ، وعند ذاك نجرده من دلالة إعجازه وهي لسانه العرى ، بجانب تعدد أشكاله عندما نرى قرآنا مصرياً ، وآخر شامياً ، وثالثاً مغربياً وهكذا .

(ج) تمزيق وحدة الأمة العربية التي حملت مشعل الحضارة إلى العالم منذ القرن السابع الميلادى ، إذ تنقطع رابطة من أقوى الروابط التي تربطها ، وهى رابطة اللسان .

(د) إلغاء التراث بحيث لا يتاح لهذه الأمة الاستفادة منه ، وبناء حاضر قوى على أساس من هذا الموروث العظيم .

٢ - هناك خطرا آخر أقوى من أى خطر نتصوره ؛ لا يمكن هذا الخطر فى الدعوة إلى العامية ، ولا فى الدعوة إلى الحرف اللاتينى ، ولا فى تجديد قواعد النحو والصرف والبلاغة ، ولا فى تغريب الأدب ، لأن كل هذه الدعوات معروف أمرها يتصدى لها الغُير منذ ظهورها ... ولكن هذا الخطر يكمن فى قبول مبدأ التطوير ، إذ التطوير هو الشرك الخفى الذى ينصبه الدهاة الغواة إذا فشلت وسائلهم الظاهرة . لأنَّ قبول مبدأ التطوير يعنى أن كل فئة تتخذ لها منهجا فى التطوير حسبما ترى بين مُفَرِّط ، ومُفَرِّط ، ومُضَيِّق ، ومُوسَّع ، ومتوسط ، ولن يقف الأمر عند حد ، وتتسع شُقَّة الخلف بين الأطراف ، ويتحقق للقوم ما يريدون تحت شعار معسول براق هو « التطوير » ، مع أن أبرز ما يتميز به اللسان العربى هو قواعده الثابتة المحكمة ، والشاذ عنها كما قلنا لا يقدر فى صلاحيتها « والتمسك بها ، والتزام طريقها هو العامل الوحيد الذى ضبط تطور العربية ، وصان وحدتها خلال أربعة عشر قرنا ، فأصبح القرآن بفضل ذلك كله وكأنه أنزل فىنا اليوم ، وأصبح شعراء العربية ، وفقاؤها ، وفلاسفتها ، وكتابها ، وأطبائها ، ورياضيوها ، وطببوعيوها ، وكميائيوها وكأنهم كتبوا ما كتبوا وألفوا

ما ألفوا بالأمس القريب . وتلك ميزة مَنْ الله بها علينا ، ولم تحظ بها أمة من الأمم ، وليس ذلك كله إلا بفضل إجتماع المسلمين على قداسة اللغة التي نزل بها القرآن ، والتزامهم ألا يخرجوا على أساليبها ، وقواعدها ^(١) ، لكن ذلك لم يمنع من تطور اللغة تطورا طبيعيا ، وفق خصائصها ، وقواعدها ، وأصولها أما الذى نرفضه ونراه أسلوبا للهدم فهو الاتجاه إلى ما يسمى بالتطوير الذى يقوم على الأهواء الضالة ، والتقليد الأعمى .

٣ - هذه الحملات ... إلى أين ؟

ما نصيبها من الفشل ، أو النجاح ؟ وإلى أى مدى تحققت لهم أطماعهم ؟ أحرزت الحملة نجاحا ملموسا فى مجال تغريب الأدب ، وأجهزة القصص المأجور المستورد على الشعر العمودى أو كاد ، وطرحت على الساحة المذاهب الاوربية فى الأدب ، وكانت هذه الحركة متزامنة مع حركة ضرب أخلاق الأمة إذ كانت القصة إحدى وسائلها ، وبرغم هذا النجاح كان هناك اليقظون من أبناء هذه الأمة الذين تصدوا لهذا البغى وأسمعوا ، وأوجعوا وإن كان صوتهم لم يكن مدويا أمام هذا الطوفان الجارف .

ثم ماذا ؟ نجحوا فى نشر العامية فى المسرح والخيالة ، ثم فى الإذاعات المرئية والمسموعة فيما بعد نجحوا ولفترة محدودة فى أن يبغضوا الأمة ، أو بتعبير أدق مَنْ تفرنجوا من أبناء الأمة فى كراهية لسانهم ، وامتهان من تخصصوا فى دراسة علوم هذا اللسان حتى

(١) الاتجاهات الوطنية ج ٢ ص ٣٨٧ .

إنهم كانوا يتخذون منهم وسيلة للسخرية والدعاية ، والاقتراحات التي طرحها المقلدون تحت شعار تبسيط اللغة ، أو تبسيط القواعد ، وأتيحت لها ظروف التطبيق في غفلة من الزمن ، وفي ظروف خاصة المحنا إليها كان من آثارها أجيال مستعجمة ، تروعا أخطاؤهم في وسائل الإعلام المتعددة ، والحرب لم تتوقف . ولكني برغم هذا أقول إن ما حصل عليه القوم هو حصاد الهشيم ، ولن يصح إلا الصحيح ، كما أنه بحكم المحصلة النهائية لهذه الجهود الشيطانية أستطيع أن أحكم بأنها فشلت في تحقيق أهدافها التي ذكرتها آنفا ، بل إنها أثارت همم أبناء اللغة للبحث في أسرارها ، والكشف عن كنوزها ، وتتبع دقائقها ، ووجوه الفضل فيها ، وقدرتها على التعبير عن المعاني والمُحَسَّاتِ جميعاً ، لقد أصبحت كل هذه الحركات التي وجهت للفصحى مجرد تاريخ تتذكر به سوءات الاستعمار وتهافت أذنايه ، والضياغ الفكرى لمقلديه .

٤ - عبرة وملاحظة

هنا ملاحظة جديدة بالاهتمام ، وهي في الوقت نفسه عبرة باللغة ، مما أمتن الله به على هذا اللسان العربى ما وضعه اللغويون والنحاة من قواعد ، وحدود له ، تجعله مطابقاً في كل عصر لمذهب القرآن وشعر العرب ، وأساليب الفصحاء ، ثم تنمو لغتنا في هذا الإطار حسب مقتضيات الحياة ، وما يجد فيها من أفكار ، وأشياء . وبهذا حافظت اللغة على وحدتها على امتداد هذه القرون ،

وأدت رسالتها كأوفى ما يكون الأداء ، ولا تزال الدعامة الهامة للمطلب العزيز الذى يسعى إليه أبناء الأمة ، وهو استعادة الوحدة ، ولن يكون هذا المطلب عسيرا مادامت وحدة اللسان باقية ، لكن الشئ المثير فعلا هو أن يسعى بعضنا تحت لافتة الإصلاح ليوقعنا فى البلاء الذى وقع فيه غيرنا ممن لم يكرم الله لسانهم بمثل ماكرم به لساننا .

لقد كانت أوروبا مجتمعة على اللاتينية . ثم تفرقوا فيها إلى السنة عدة ، فماذا جنوا ؟ وأى ربح ^٥صلوه سوى الفرقة والانقسام وولوج بعضهم فى دماء بعض ؟ ألا ينبغى لنا أن نتعلم من التاريخ ؟ ونلتمس العبرة من الواقع ؟ إن اليهود الآن أعادوا - باصرار - عبرتهم التى ماتت ودرست ، ويحاولون الآن بكل جهد أن يربطوا أنفسهم بها ، ويبعثوا الحياة فى ألفاظها ، وينبشوا مقابر تاريخهم ليأتوا بأسماء عبرية يطلقونها على ما اغتصبوه من أرض العرب . بينما نحن فى المقابل نبحث عن الوسائل التى تميت لغتنا الحية ، أو تقطعها إربا إربا !!! بماذا يسمى هذا التصرف فى منطق أولى الالباب ؟!

وصدق الله العظيم : ﴿ قل هل ننبئكم بالآخسرين أعمالا . الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ الكهف/ ١٠٣ ، ١٠٤

٥ - العامية مشكلة كل لغة

فكل لغة لها لغتها العامية ، فلم تكن مشكلة العربية وحدها ،

وجمهرة المتكلمين بالعامية من أبناء العرب يفهمون الفصحى في يسر ، ويستمعون للقرآن الكريم ، فلا يجدون عسرا ولا عنتا في إدراك معانيه ، وهو في أعلى درجات الفصاحة والبلاغة ؛ والجهود التي بذلها أصحاب الأهواء لدعم العامية لم تدعمها ، وإنما كشفت عيوبها ، وأبانت عن عجزها وقصورها ، بدليل أنه لما استطاع دعاة العامية في فترة من الزمن التسلسل إلى التعليم الابتدائي في مصر ، وظهر كتاب : شرشر وفلفل ، والبط يأكل فت ، والوز يأكل رز تعرضت لحملة نقد شديدة ورفض الناس - حتى العامة - هذا الاتجاه ، ورد كيد أصحابه إلى نحورهم ، وهذه هي بعض مظاهر القصور والعجز في العامية .

● العامية ليست لغة قائمة بذاتها لها خصائصها ومقوماتها ، وإنما هي لهجة تفرعت عن الفصحى ، وامتنعت على اختلاف فترات التاريخ مفردات من لغات عدة .

● من مواقع نتائج الدراسات التي قام بها المستشرقون يتأكد لنا أن العامية لا يمكن أن يعول عليها في العلوم والآداب ، فهي تحريف للغة أخرى ، ولم تستغل في يوم من الايام بقوانين وقواعد .

● العامية فقيرة في مفرداتها ، وغير ثابتة على حال ، وهي عرضة للتغيير الدائم في أصواتها ودلالاتها ، كما أنها بواقعها تتيح فرصة لتزق المتكلمين بها فهي تختلف من مدينة إلى مدينة ، بل من قرية إلى قرية ، وقد يكون بين القرينتين عدة كيلومترات .

● العامية لا توفروقتا ، ولا جهدا ، وفي الكتابة بها مشقة بالغة .

● العامية لا تصلح وسيلة للتفاهم بين أبناء الأمة العربية ، وتقطع

الحاضر عن الماضي ، وتفصل الأدب عن الدين ، وتحقق الفرقة في وقت يسعى العالم فيه إلى الوحدة .^(١)

وبناء على هذا يستبين لنا أنها لم تكن ولن تكون دعوة إصلاح وإنما هي خطة تدمير ، نسجها أصحاب الأهواء ، وطرب لها العملاء ، وانساق وراءهم المقلدون .

ولكن الحق حق ، والباطل باطل ﴿فَأَمَّا الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض﴾

٦ - فكرة اللغة المتوسطة هي صورة من صور الخداع في الدعوة إلى العامة ، بل هي في تقديري أكثر ضرراً منها لما يحيط بها من دهاء ومكر خفي يعز إدراكه على الكثيرين .

٧ - اللسان العربي يتحدى ...

بالرغم من هذه الجيوش ، المتعددة الاتجاهات ، والتي حاربت اللسان العربي في أكثر من ميدان ، وبأسلحة متنوعة فإن المؤشرات تؤكد انتصار الفصحى لقدرتها الذاتية ، ولعطائها المستمر ولارتباطها بالكتاب العزيز ولاحتوائها التراث الخالد ؛ والرأى العام العربي يتجه الآن بقوة إلى الفصحى بعد أن فضحت الأهداف ، وبرح الخفاء ، ونما الوعي الديني بصورة عميقة ، وتعددت الجماعات العاملة في الحقل الاسلامي على كل المستويات ، ونمو الوعي الاسلامي يتبعه نمو الوعي اللغوي ، ومطاردة آثار العجمة في الألسنة العربية ؛ أضف إلى ذلك أن الإسلام يعيش الآن مرحلة

(١) الشعبية من ص ٢٢٥ إلى ص ٢٢٧ مع تصرف واختصار .

غزو جديد للفكر الإنساني ، وأوى إليه قم العلم والفكر من أوربا ،
مستيقنة من أنه الحق الذى يمكن أن يحقق السعادة لبني الإنسان ؛
وأثبتت اللغة العربية وجودها وأصالتها ، وأصبحت إحدى اللغات
الأساسية للأمم المتحدة ؛ فلتستح إذن هذه الفلول من بقايا
« ويلكوكس » و « سلامة موسى »

وأمر آخر :

فى مطالع هذا القرن كانت معاهد اللغة العربية فى العالم العربى
تعد على أصابع اليد الواحدة ، والآن - والله الحمد - تعد بالعشرات
فى كل قطر عربى تدعم ارتباط هذه الأمة بلسانها ، ويكتاب ربا .
هذا عدا المعاهد الموجودة فى بلاد العالم الإسلامى لتعلم المسلمين من
غير العرب لغة الكتاب العزيز ، كما أدت حركة إحياء التراث دورها
الفعال منذ وجدت فى إبطال هذا المخطط ، وقد اتسعت الآن ،
وتعددت مراكزها ، وأسهمت دول وهيئات متعددة فى إثرائها
وإنمائها ، وتعميق آثارها ، وستبقى علينا مسئولية تظل قائمة
ولازمة ، وهى العمل على أن يظل لهذا اللسان سيادته وسلطانه ،
وأن نعود به إلى عصر قوته وازدهاره ؛ ليسترد الأرض التى اغتصبها
منه الحرف اللاتينى فى إفريقيا وآسيا .

طريق العودة

على ضوء هذه الحقائق والنتائج التى أسلفناها لابد أن نضع فى
حسابنا هذه المعالم للطريق الذى يجب أن نسلكه ، صيانة لأمتنا ،
ولسانها ، ودينها .

١ - المحافظة على القرآن الكريم ، وأخذ الناشئة به منذ نعومهم أظفارهم ، فيسمو بهم ، ويقوم ألسنتهم ، ويأخذهم بالصوتيات العربية الصحيحة ، ويزودهم بثورة لغوية وأسلوبية واسعة ، يحفظونها أول أمرهم ، ثم يفقهونها عند بلوغ رشدهم .

والدور القرآني في بناء الفصحى عندنا شئنا ، يغطي كل المراحل اللغوية من صوتية ، وتصريفية ، ونحوية ، وبلاغية ، وهذا الاتجاه بدأ يتضح في أمتنا ، وتتنافس الدول والهيئات فيه ، وعندما أسمع أطفالنا يقرءون القرآن الكريم مجودا بطريقة تأخذ بمجامع القلب أحس كأنهم يصفعون « سبيتا » أمين المكتبة ، والقاضي « ولور » والمهندس « ويلكوكس » والأذنان معهم ومن بعدهم على أقفيتهم ، ومن أجل هذا لابد من تعزيز هذا الاتجاه بكل السبل ، ولا أقل من أن نطالب بمعاملة حفاظ القرآن معاملة أصحاب البطولات الرياضية والفنية ، وغيرها ممن نبالغ في تكرمهم .

٢ - لابد أن نضع في اعتبارنا أن الدفاع عن الفصحى دين ، وأنها خط الدفاع الأول عن الإسلام ، وأعداء الإسلام عندما يضربون الفصحى يحققون ما يريدون بطريق غير مباشر ، كما أنهم يجنبون أنفسهم مغبة الدخول في حرب ، تحرك ضدهم جهودا إسلامية متنوعة ، إذ يصورون القضية على أنها قضية لغة يراد إصلاحها ، ولا علاقة لها بالدين ، لتتم المؤامرة في داخل الوطن العربي دون أن يحس بها المسلمون ، وثمت أهداف أخرى أشرنا إليها هي تمزيق الأمة العربية ؛ إذ توزعها لهجات عامية متعددة ، كما يضمنون الانفصال الشبكي بينها وبين تراثها العظيم ، فلا يجدون إلا

حضارة أوروبا .

٣ - مجامع اللغة العربية على امتداد الوطن العربي أعنى في القاهرة ، ودمشق ، وبغداد لم تحقق تماماً الأهداف التي أنشئت من أجلها ، وفيها نخبة من أعلام العلماء . أيلق بالازمة التي أنجبت ابن سينا ، والرازي والزهراوى أن تظل للآن تدرّس الطب بالإنجليزية مع أن هناك دولا ليس للغاتهما مكانة اللغة العربية ، وتدرس الطب بلغاتها ؟!! لا بد لهذه المجامع ، ومن ورائها عشرات الجامعات في الأمة العربية أن تؤدى دورها في الحفاظ على هذا اللسان وحمايته ، وإثبات قدرته .

٤ - لا بد من الحرص على اللسان الفصيح في محاضراتنا ودروسنا ، وكل مجالسنا ، وليصبح هذا الأمر مسئولية كل أستاذ ، ومُربٍّ ، وغير مقصور على أستاذ اللغة العربية وحدها .

٥ - لا بد من التوجيه المستمر لوسائل الإعلام من صحافة وإذاعات مرئية ومسموعة إلى الحرص على اللسان الفصيح بكل مظاهر الفصاحة فيه سواء أكانت صوتية أم نصرفية أم نحوية أم بلاغية .

٦ - لا بد من عقد مؤتمرات على مستوى العالم العربى تحت عنوان « من أجل حماية الفصحى » يلتقى فيها أساتذة اللغة العربية ، والمهتمون بأمورها ، وأعضاء المجامع اللغوية لدراسة الوسائل الكفية باحفاظ على هذا اللسان والدعم المستمر له .

٧ - دعم حركة إحياء التراث ، والعمل على استمرارها ، مع

ترشيدها ، وتنسيق الجهود بين القائمين بها على أرض الوطن
العربي .

﴿وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين﴾

مراجع البحث ومصادره

اعتمدنا في هذا العمل على مراجع شتى ما بين كتب ودوريات نشبت أهمها فيما يلي :

أولها : القرآن الكريم

ثانيهما : المطبوعات التالية

- ١ - أباطيل وأسحار - الشيخ محمود محمد شاكر
- ٢ - الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر - د. محمد محمد حسين - دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٢ .
- ٣ - الإتيقان في علوم القرآن - للسيوطي - مطبعة الحلبي القاهرة .
- ٤ - الأسس المعجمية والثقافية - د. رشدي طعيمة - إصدار معهد اللغة العربية - جامعة أم القرى - مكة .
- ٥ - أين يتجه الإسلام ؟ المستشرق جب - لندن .
- ٦ - تاريخ الدعوة إلى العامية في مصر وآثارها - د. نفوسة زكريا - دار الثقافة بالاسكندرية ١٩٦٤م / ١٣٨٣هـ .
- ٧ - تاريخ العرب فيليب حتى
- ٨ - تحت راية القرآن - مصطفى صادق الرافعي
- ٩ - حاضر العالم الإسلامي - لوثرروب ستودارد ترجمة عجاج نويدض وشكيب أرسلان مصر ١٩٢٥ .
- ١٠ - حديث الأربعاء - د. طه حسين - دار المعارف
- ١١ - الخلاف بين النحويين - تاريخ وتحليل وتقوم - د. السيد رزق الطويل - الفيصلية - مكة .

- ١٢ - ديوان حافظ .
- ١٣ - الشعوية في الأدب المعاصر - أنور الجندي - دار الاعتصام القاهرة .
- ١٤ - الشوقيات - أحمد شوقي .
- ١٥ - طبقات النحويين للزبيدي ت . محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف .
- ١٦ - علوم القراءات - مدخل ودراسة وتحقيق - د . السيد زرق الطويل - الفيصلية - مكة .
- ١٧ - القصص القرآني في مواجهة أدب القصة والمسرح - أحمد موسى سالم .
- ١٨ - مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبد الحميد .
- ١٩ - مستقبل الثقافة في مصر - د . طه حسين - مصر ١٩٤٤ .
- ٢٠ - اليوم وغدا - سلامة موسى - مصر ١٩٢٧ .

ثالثا : الدوريات

الأهرام	مصر	لا تزال
الأمة	قطر	لا تزال
الرسالة الجديدة	مصر	كانت
الشرق الأوسط	صحيفة يومية	لا تزال
الجريدة	مصر	كانت
السياسة الأسبوعية	مصر	كانت
مجلة مجمع اللغة العربية	القاهرة	لا تزال
الهلل	مصر	لا تزال
المقتطف	بيروت	كانت
المقتطف	مصر	كانت
المصور	مصر	لا تزال

فهرس الموضوعات

الموضوع	صفحة
المقدمة	٦
الفصل الأول	
أبعاد العلاقة بين اللسان العربى والإسلام	١١
تأهيل اللسان العربى لتزول القرآن به	١٢
العربية لسان القرآن	١٥
مزايا اللسان العربى وخصائصه	٢١
انتشار اللسان العربى مع الإسلام	٢٧
الفصل الثانى	
خطة لضرب اللسان العربى	٣٩
الدوافع والوسائل	٣٩
ماذا وراء التفكير فى ضرب اللسان العربى ؟	٤٠
« توينبى » يتحدث عن الفصحى	٤٥
الخطوات والمراحل	٤٧
القائمون على التنفيذ	٤٧
الفصل الثالث	
المعركة بين العامة والفصحى	٤٩

٥٠ الاستعمار كالحرباء
٥٠ بداية الدعوة
٥٣ ولهم سينتا
٥٤ حركة المقتطف في بيروت
٦٠ واشتدت المقاومة
٦٢ يعقوب صنوع
٦٣ مجلة الهلال تستفتي ثم تحكم
٦٧ لطفى السيد والعامية
٧٢ ويلكوكس مرة أخرى
٧٣ دور العملاء والأذئاب
٧٥ الوباء يتسرب إلى مجمع
٨٠ لويس عوض
٨١ ونأسف مرة أخرى

الفصل الرابع

٨٣ الدهاء بعد العداء
٨٣ صور أخرى لضرب اللسان العربى
٨٤ شعارات مطروحة على الساحة
٨٦ الكلاسيكية والتراثية
٩٠ اللغة المتوسطة
٩٣ توفيق الحكيم يفتى
٩٧ الأسلوب اللبناى التوراتى

الفصل الخامس

١٠١ الدعوة إلى إلغاء الحرف العربى
-----	-------------------------------------

- ١٠٢ كيف نشأت هذه الدعوة ؟
- ١٠٧ المستشرق نلينو ، ونزاهة البحث

الفصل السادس

- ١١٣ السهام تنجھ لضرب علوم الفصحى
- ١١٤ الدعوة إلى تطوير العلوم اللسانية
- ١١٦ أول هجمة على الإعراب
- ١٢٣ تغريب الأدب
- ١٣٥ الخاتمة
- ١٣٥ اللسان العربى يتحدى
- ١٣٦ حقائق ونتائج
- ١٣٦ أهداف القوم
- ١٣٧ الخطر الحقيقى
- ١٣٨ هذه الحملات إلى أين ؟
- ١٣٩ أنقلد أوربا فى ضلالها ؟
- ١٤١ عيوب العامية
- ١٤٢ اللسان العربى يتحدى
- ١٤٣ طريق العودة
- ١٤٤ الحفاظ على القرآن
- ١٤٤ الدفاع عن اللغة دين
- ١٤٥ مهمة الجامع اللغوى
- ١٤٥ أمور لابد من الحرص عليها
- ١٤٧ الفهارس
- ١٤٧ فهرس المراجع
- ١٤٩ فهرس الموضوعات

صدر من هذه السلسلة

الكتاب

المؤلف

- ١ - تأملات في سورة الفاتحة ————— [الدكتور حسن باجودة]
- ٢ - الجهاد في الإسلام مراتبه ومطالبه ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٣ - الرسول ﷺ في كتابات المستشرقين ————— [الأستاذ نذير حمدان]
- ٤ - الإسلام الفاتح ————— [الدكتور حسين مؤنس]
- ٥ - وسائل مقاومة الغزو الفكري ————— [الدكتور حسان محمد حسان]
- ٦ - السيرة النبوية في القرآن الكريم ————— [الدكتور عبد الصبور مرزوق]
- ٧ - التخطيط للدعوة الإسلامية ————— [الدكتور علي محمد جريشة]
- ٨ - صناعة الكتابة وتطورها في العصور الإسلامية ————— [الدكتور أحمد السيد دراج]
- ٩ - النوعية الشاملة في الحج ————— [الأستاذ عبد الله بوقس]
- ١٠ - الفقه الإسلامي آفاقه وتطوره ————— [الدكتور عباس حسن محمد]
- ١١ - لمحات نفسية في القرآن الكريم ————— [د. عبد الحميد محمد الهاشمي]
- ١٢ - السنة في مواجهة الأباطيل ————— [الأستاذ محمد طاهر حكيم]
- ١٣ - مولود على الفطرة ————— [الأستاذ حسين أحمد حسون]
- ١٤ - دور المسجد في الإسلام ————— [الأستاذ علي محمد مختار]
- ١٥ - تاريخ القرآن الكريم ————— [الدكتور محمد سالم محيسن]
- ١٦ - البيئة الإدارية في الجاهلية وصدر الإسلام ————— [الأستاذ محمد محمود فرغلي]
- ١٧ - حقوق المرأة في الإسلام ————— [الدكتور محمد الصادق عفي]
- ١٨ - القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته [١] ————— [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ١٩ - القراءات أحكامها ومصادرها ————— [الدكتور شعبان محمد اسماعيل]
- ٢٠ - المعاملات في الشريعة الإسلامية ————— [الدكتور عبد الستار السعيد]
- ٢١ - الزكاة فلسفتها وأحكامها ————— [الدكتور علي محمد العماري]
- ٢٢ - حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم ————— [الدكتور أبو اليزيد العجمي]

الكتاب

المؤلف

- ٢٣ - الأقليات المسلمة في آسيا وأستراليا — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٢٤ - الاستشراق والمستشرقون وجهة نظر — [الدكتور عدنان محمد وزان]
- ٢٥ - الإسلام والحركات الهدامة — [معالي عبد الحميد حموده]
- ٢٦ - تربية النشء في ظل الإسلام — [الدكتور محمد محمود عمارة]
- ٢٧ - مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامى — [الدكتور محمد شوقي الفنجرى]
- ٢٨ - وحى الله — [الدكتور حسن ضياء الدين عتر]
- ٢٩ - حقوق الإنسان وواجباته في القرآن — [حسن أحمد عبد الرحمن عابدين]
- ٣٠ - المنهج الإسلامى في تعلم العلوم الطبيعية — [الأستاذ محمد عمر القصار]
- ٣١ - القرآن كتاب أحكمت آياته [٢] — [الأستاذ أحمد محمد جمال]
- ٣٢ - الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج — [الدكتور السيد رزق الطويل]
- ٣٣ - الاعلام في المجتمع الإسلامى — [الأستاذ حامد عبد الواحد]
- ٣٤ - الالتزام الدينى منهج وسط — [عبد الرحمن حسن جبنكة الميدانى]
- ٣٥ - التربية النفسية في المنهج الإسلامى — [الدكتور حسن الشرقاوى]
- ٣٦ - الإسلام والعلاقات الدولية — [الدكتور محمد الصادق عفيف]
- ٣٧ - العسكرية الإسلامية ونهضتنا الحضارية — [اللواء الركن محمد جمال الدين محفوظ]
- ٣٨ - معاني الأخوة في الإسلام ومقاصدها — [الدكتور محمود محمد بابلي]
- ٣٩ - النهج الحديث في مختصر علوم الحديث — [الدكتور على محمد نصر]
- ٤٠ - من التراث الاقتصادى للمسلمين — [الدكتور محمد رفعت العوضى]
- ٤١ - المفاهيم الاقتصادية في الإسلام — [د. عبد العليم عبد الرحمن خضر]
- ٤٢ - الأقليات المسلمة في أفريقيا — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٣ - الأقليات المسلمة في أوروبا — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]
- ٤٤ - الأقليات المسلمة في الأمريكتين — [الأستاذ سيد عبد المجيد بكر]

الكتاب

المؤلف

- | | |
|--|----------------------------------|
| ٤٥ - الطريق إلى النصر | [الأستاذ محمد عبد الله فودة] |
| ٤٦ - الإسلام دعوة حق | [الدكتور السيد رزق الطويل] |
| ٤٧ - الإسلام والنظر في آيات الله الكونية | [الدكتور محمد عبد الله الشقراوي] |
| ٤٨ - دحض مفتريات | [د. البدر أوى عبد الوهاب زهران] |
| ٤٩ - المجاهدون في فطاني | [الأستاذ محمد ضياء شهاب] |
| ٥٠ - معجزة خلق الإنسان | [د. عبد الرحمن عثمان] |
| ٥١ - مفهوم القيادة في إطار العقيدة الإسلامية | [الدكتور سيد عبد الحميد مرسى] |
| ٥٢ - ما يختلف فيه الإسلام عن الفكر الغربي الماركسي | [أنور الجندي] |
| ٥٣ - الشورى سلوك والتزام | [د. محمد احمد البابلي] |
| ٥٤ - الصبر في ضوء الكتاب والسنة | [أسماء عمر فدعق] |
| ٥٥ - مدخل إلى تحصين الأمة | [د. احمد محمد الخراط] |
| ٥٦ - القرآن كتاب أحكمت آياته | [الأستاذ احمد محمد جمال] |
| ٥٧ - كيف تكون خطيباً | [عبد الرحمن خليف] |
| ٥٨ - الزواج يغير المسلمين | [الشيخ حسن خالد] |
| ٥٩ - نظرات في قصص القرآن | [محمد قطب عبدالعال] |

طبع بمطابع رابطة العالم الإسلامي - مكة المكرمة

المؤلف في سطور ..

- ولد في قرية تكلّا محافظة الجيزة بمصر عام ١٩٣٢م .
- حفظ القرآن الكريم في السنة الثانية عشرة من عمره . ونال جائزة صغار الحفاظ من مجلس محيرية الجيزة ثم التحق بالازهر عام ١٩٤٦ و تخرج في كلية اللغة العربية . ونال الاجازة العالية منها بامتياز في علوم اللغة العربية وادابها .
- حصل على درجة الدكتوراه بامتياز عام ١٩٧٤م .
- عمل بالتدريس في التربية والتعليم بمصر . ثم نقل مدرّساً بجامعة الازهر عام ١٩٧٦م .
- يعمل بالدعوة الإسلامية منذ كان طالباً بالقسم الثانوي بالازهر .
- أسس في مصر جماعة دعوة الحق الإسلامية لتدعو إلى السلفية الصحيحة ، ولتجارب الخرافات والبدع والمنكرات ، وأعاد مجلة (الهدى النبوي) إلى الصدور . وهي من أقدم المجلات السلفية . وتولى رئاسة تحريرها ، ولا تزال تشق طريقها في الدعوة إلى التوحيد والسلفية .
- عضو في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بمصر .
- من مؤلفاته الإسلامية : العقيدة في الإسلام ومنهج وحياة - بنو اسرائيل في القرآن - الدعوة في الإسلام عقيدة ومنهج - الإسلام دعوة الحق .
- وفي الدراسات النحوية : الخلاف بين النحويين ط . مدخل إلى علوم القراءات ط . الأفعال في اللسان العربي . النحو الوسيط .
- عمل استاذاً مشاركاً بقسم الدراسات العليا بكلية اللغة العربية بجامعة أم القرى في مكة المكرمة لمدة أربع سنوات .
- يعمل الآن وكيلاً لكلية اللغة العربية والدراسات الإسلامية بجامعة الازهر .